المندل

الإهداء

إهداء لتلك لروح الصغيرة التي ملأها الفضول للحد الذي جعلها حاكمة لشيء لم تتخيله قط.. ولتلك الهواجس التي تتبعنا أينما سرنا، تحثنا على البحث ، ولكن البحث عن ماذا؟

تعددت الإهداءات فلكل عين متلألئة بالدموع شاردة في ماضيها إهداء، ولكل غموض قاتل وفضول متسرب إهداء، ولكل كلمة حب تقال في أوقات ومواقف شتى إهداء.. يكمن الحب فقط في الاحتياج لا مجرد مسمى يُعلق على الحائط.

وفي النهاية، إهداء لذلك الشخص الحقيقي الذي بقسوته علي جعلني أدرك كم أنا مميزةٌ، جعلني أشكل لكم حزني على هيئة عدة أشخاصٍ ستعيش معكم رحلتكم هنا..

المقدمة

ليس كل ما نراه بأعيننا هو الحقيقة، الحقيقة تكمن في بواطن الأمور. ما تراه هو ما تودك الحياة المزيفة أن تراه فتجنب التحري في الأمر إن كنت ستعاني من تشتت داخلي يؤدي بك لارتكاب جريمة من طرف واحد...

الانطوائية ليس مرضًا نفسيًا أو توترًا عصبيًا، الانطوائية ابتعاد عن المألوف في انتظار المُراد..

ما ستقرأه هو من خيال الواقع أو واقع الخيال، وحدك من سيقرر ذلك. اتبع عقلك من جوهره، اتبع خيالاتك فبعضها تكون الحقيقة المخفيّة والبعض الأخر تكون محض رسائل قصيرة تنبه أعصابك أو ربما تشعرك بالتوتر والتفكير المزمن، لا تستسلم لما يدور في أحلامك لأنك ستصاب بالصدمة التي لا تقوى على تحملها.

رسالتي لك، ابحث في أحلامك على حقيقة واقعك.

الفصل الأول

<u>في التاسع عشر من أغسطس عام 1926</u>

- أين ستذهب مجددًا؟

- تعلمين أن وجودي معك هنا لأجلٍ طويل ممنوع، وسأحرم من الرجوع إذا خالفت الأسطورة ولكن هناك شيء ينبغي أن أهديك إياه

- لا أسطورة غير قصة حبنا هذه، وأعلم أنني خالدة لك للنهاية

- خذي هذا الكتاب واحتفظي به ليومٍ معلوم، فالتاريخ يعيد نفسه وما نعيشه اليوم هو حياة سابقة لأجدادنا، تكتمي على هذا السر واحتفظي به وسيأتي من يتولاه، لا تقلقي.

- ولكن لمن هذا؟

- المهم أنه يظهر ما يخفى.. اللعنة ذاتها تكمن في الحقائق

- ما اسمه؟

- المندل.

في التاسع عشر من أغسطس 1985

أجواء احتفالية قديمة بعض الشيء ومحدودة المكان, في منزل متوسط الحجم , كان هناك امرأة قد تجاوزت السبعين تقريبًا ذات أعين تدل على أن ما رأته لم يكن هينًا في حياتها، لها خطوط رفيعة وجمال ملموس في وجهها، روحها مليئة بالأسرار وكأنها بئر الحكايات الخرافية.. مزيفةُ الرضا لكل من في البيت سوى تلك الفتاة صغيرة التي تتم عامها الخامس اليوم. كانت تلك العجوز تقبع في غرفتها - قديمة الطراز- منتظرة إنهاء تجهيزات ابنها للاحتفال بعيد ميلاد حفيدتها تلك الفتاة ذات الخمسة أعوام.

كانت تلك الفتاة هي الفتاة المدللة حينها، ومن السهل أن يرى الجميع غضب أختها الكبرى "هَنا" في مثل تلك الأوقات لأن جدتهما تهتم بالصغرى كثيرًا على عكس الأمر بالنسبة لها .

*****

بعد مرور العديد من السنوات..

في ذكريات الفتاة الصغرى تخَزنت الكثير من اللحظات التي لم تُفهم حينها ولكن لم تنفك تتردد على مسامع آذانها الداخلية، فلم يكن من السهل إزالة تلك الهواجس ..

- موجٌ تحدث نفسها كعادتها الانطوائية اللا مُفسرة : لم أكن ناضجة كفايةً حتى أدرك هذه الأمور التي قد تسببت فيما بعد أشياء أتنمى لو لم تحدث, لم جدتي فعلت ذلك؟ لمَ أنا !! ليتني لم أنزل ذاك القبو.

*****

بعد انتهاء الحفلة ليلاً لم تكن موجٌ قد أرضت نفسها الطفولية من تلك الهدايا المقدمة لها وتملكها الغموض للحد الذي جعلها تهبط لذلك القبو الموجود أسفل منزل جدتها رغم أنه تم تحذير الكل من الهبوط لذلك المكان بسبب ظلمته وقدمه.. كانت ذات خمس سنوات ولكن شغفها بالأشياء الغامضة قد سيطر عليها ولا تدري متى.. وأين.. وكيف !!

هبطت بعض السلالم الصغيرة الرقيقة بأرجلها الهادئتين الناعمتين مستندة بيدها اليمنى على الجدار حتى لا تنزلق في هذا الضوء الخافت الذي كان يعم الغرفة، بعد نزولها وجدت نفسها في ساحة كبيرة بعض الشيء فارغة من أي أثاث قد يزينها ماعدا كرسيٌ صغير في إحدى زواياها وكأن أحدًا يستخدمه للجلوس في بعض الأوقات، حتى الضوء زاد خفوته فحدثت نفسها قائلة :

- ما هذا الفراغ! لم أكن أظن أن جدتي قد منعتنا من النزول حتى لا نلوث الأرضية بأحذيتنا .. ولكن لحظة ما هذا الشيء؟!

لمعت عيني موجٌ لرؤيتها شيء ما .. شيء أكبر حجمًا منها ببعض السنتيمترات القليلة فاتجهت نحوه لتقف أمام صندوق كبير مزخرف ببعض النقوش وكأنها طلاسم لمنع اللصوص من فتح الصندوق وكأنه ملكٌ لأمير البلاد ويحوي على كنوز العالم كملك سليمان مثلًا ..لم تكن واعية كفاية حتى تدرك ما هذه المنقوشات التي نقشت على الصندوق ولكنها برغبتها في معرفة ما هذا الشيء الكبير الذي يفوقها طولًا قامت متمشية إلى ذلك الكرسي الصغير القابع في إحدى الزوايا وحملته كما وكأنها تحمل رضيعها حيث احتضنته في حنان وابتسامات وهي تسير عائدة أدراجها إلى الصندوق قائلة : ها أنا قد عدت إليك أيها الضخم لأرى ما في بطنك ..

أنزلت الكرسي من يديها على الأرض بالقرب من الصندوق وصعدت عليه فكانت في الطول المناسب لفتح الصندوق ولكنها نست أنها فتاة صغيرة ذات خمس سنوات فقط! كيف لها بيديها الصغيرتين أن تقوم برفع غطاء الصندوق لترى ما في داخله!

لا أدري أكان حسن أم سوء حظها ما حدث ..

بعد محاولات عدة من فتحها للصندوق والتي باءت بالفشل قد جرحت يديها جرحًا عميقًا قليلًا لاقتراب يديها من أحد سنون الصندوق التي لم تنتبه لها فتساقطت بعض قطرات الدم من يديها لتنزل على جدار الصندوق فتأخذ تلك القطرات في السير في متاهة قد صنعت على جدار الصندوق الأمامي ..متاهة ذات عمق غائر في الصندوق بعض المليمترات، قد

انتبهت موجٌ حينها لما يحدث في الجدار ولكونها صغيرة رأت أن هذا شيء ممتع فقامت بالضحك والتصفيق وكأنها تشجع قطرات دمها في الإسراع للفوز بالخروج من المتاهة..

بعد أن اقتربت قطرات الدم بالفعل بالخروج والانتهاء من المتاهة اشتعلت أنوار حمراء اللون تنير الصندوق بأكمله من الخارج فانتفضت الطفلة لما حدث فجأة وسقطت من على الكرسي وحين استنادها على يديها مرة أخرى للوقوف والاعتدال وجدت أن الصندوق قد أنفتح وأظهر ما يحويه من جمال الكنوز والشيء الأكثر لمعانًا كان كتابٌ كبير الحجم قليلًا بالنسبة لها ولكن في استطاعتها حمله ولكنه سيكون ربع طولها تقريبًا .. وبدون شعور منها أصدرت صرخة فرحة تردد صداها في القبو بأكمله ليصعد لمن كانوا يبحثون عنها أعلى القبو ومنهم جدتها فيهبطون مسرعين إلى الأسفل ليجدوا موج تلك الطفلة الغريب حظها وقدرها في أن أوقعها في مثل هذه الغرابات من صغرها واقفة تحمل كتاب وتضمه إلى صدرها وتبتسم وكأنها حصلت على الكنز الذي عاشت جدتها سنين طوال تحميه ..

- حلمي : ما هذا الشيء بنيتي !!

- الجدة بلهجة خشنة: أصعدوا جميعًا للأعلى.. الأن

لبى الجميع طلب الجدة وصعدوا تاركين موج بحوزتها الكتاب معها

- كيف جئتِ بهذا الكتاب يا عزيزتي ؟

- أبدًا جدتي، صعدت على هذا الكرسي لأفتح الصندوق ولكن جرحت يداي وشاهدت لعبة المتاهة تلك التي حدثت على الجدار التي أشترك فيها الدم المتساقط من يدي ومن ثم اشتعلت أنوار حمراء أفزعتني فسقطت رغمًا عني على الأرض وحين وقوفي مرة أخرى وجدت الصندوق قد أنفتح وهذا الكتاب هو من أثار إعجابي ..هل أخطأت بشيء جدتي!

- مباركٌ عليكِ الكتاب عزيزتي، لا تخبري أحدًا بهذه القصة وقولي لهم أنني من وضعت الكتاب هنا لتنزلي القبو وتأخذيه كهدية لعيد مولدك

- ولكن لماذا !!

- لأنني أطلب منكِ ذلك

- وما هذا الشيء

- بعد همهمات الجدة مع نفسها: احتفظي به جيدًا إنه كتابٌ قديم يحكي عن حكايات قديمة قد تعجبك في الكبر ولكن لا تدعي أحدًا يسلبك إياه.

- حسنًا جدتي

- أعلمي أنك الأفضل على الإطلاق، هيّا الأن اصعدي للعب بهداياكِ

تركت موج جدتها وصعدت لأعلى، كانت الجدة لا تعلم أتسعد لأنها ستموت أخيرًا وتذهب لحبيبها العزيز وهي

مطمئنة على تنفيذ وعدها أم تقلق على حفيدتها الصغيرة التي لا تعلم ما سيحدث في مستقبلها!

*****

- في الثامن عشر من أغسطس من عام 2005

08:00 صباحاً

"البحر"..

- ترددت الكلمة كثيرًا في أحلامي منذ أيام عدة، جاهلةً السبب، لِم البحر؟

- لستُ انطوائية كما يدعونني ولكن لم أجد من يُخرج تلك الروح المُتكورة داخلي، هي تخرج فقد حين أكون وحيدة قابعة على سريري مُغلقة باب الحجرة، جاعلة الغرفة خافتة الإضاءة قليلًا...

قرأتُ ذات مرة لـ"مارك ماسون" أنه حينما نجد أنفسنا في مواجهة العالم فإن ذلك يدل أننا في مواجهة أنفسنا لا العالم الخارجي، قررتُ حينها أن أواجه تلك الهواجس والتخيلات التي تقبع في جمجمتي جاعلةً مني أرفض التعامل مع الآخرين خوفًا من عدم تفهمهم لي.

كانت تلك محادثات داخلية تُجرى في مخيلة "موجٌ" صباح كل يوم لها فهي معتادة على ذلك منذ عدة سنوات .

- استيقظي موج سوف تتأخرين على فطورك

- قالتها فريدة والدتها عند محاولاتها لإدخال الشمس للغرفة.

وأردفت قائلة عندما لم تجد منها استجابة

- أعلم أنك تتضجرين من فتح النوافذ صباحًا ولكن هذا من أجل صحتك عزيزتي فأنتِ لا تُبالين بنفسك فيجب على الأم الاعتناء بأطفالها

- أمي أنا لستُ طفلة، أرجوكِ..

ثُم أنني سوف أتم عامي الخامس والعشرين غدًا فهل هذا دليلٌ كافٍ بالنسبة إليك أنني لم أعد طفلتك المدللة!

- فريدة تجيب والضحك يعلو شفتيها : لا ليس دليلاً بالمرة، وهيا انهضي في حالة إذا كنتِ لا تودين التوبيخ من والدك

- موجٌ مُقبلة يديها : حسنًا يا أجمل فريدة في العالم.

اغتسلت موج وارتدت ملابسها وذهبتُ مفعمة بالحيوية إلى طاولة الطعام - تلك الطاولة الدائرية ذات الأربع كراسي والأقمشة الهادئة التي تعلوها فتزيد من بساطتها بساطة - حيث كانت تجمع أسرتها الصغيرة ممسكة بكتابين، الأول بكتابها المُفضل والأخر صديق دربها - التي أهدته لها جدتها-.

- موجٌ: والدي ..

- حلمي: ماذا ؟

- موجٌ مترددة : هل لي أن استعير سيارتك اليوم ؟!

- حلمي متسائلًا مستغربًا : لمَ؟؟

- موجٌ : أود الذهاب إلى الشاطئ الليلة وتنتابني مشاعر غريبة للذهاب هناك الليلة حقًا يا أبي.. فهل لك أن توافق، أرجوك!

- حلمي : ولكن عزيزتي ...

- قاطعته موجٌ : اعتبرها هدية عيد مولدي مقدمًا..

- لم يستطع حلمي الرفض فهي ذات مكانة مميزة لديه خصوصًا أنها ناضجة كفاية لتتحمل مسئوليتها

- هَنا كالعادة مظهرة الضيق : من الغريب أن تسمح لها بأخذ سيارتك يا أبي وأنا الأكبر سنًا منها ولا تسمح ليّ بذلك!!

- حلمي : أنتِ الأكبر سنًا وهي الأنضج عقلًا..

- هنا : ولكن يا أبي أنا الأحق منها في مثل تلك الأمور، أمي تحدثي أرجوكِ لأن والدنا يجعلني صغيرة الفهم دائمًا في أي مواجهه مع موجٌ، سيادة الأميرة موجٌ..!

فريدة لم تجد لغضبها مهدأ ففضلت الذهاب إلى المطبخ والإتيان بباقي الطعام

- قاطعتها موجٌ : ولكن يا هنا أنا لستُ أميرة هذا أولًا، ثانيًا لا أجد معظم الأحيان مبررًا لغضبك وحنقك التي تدفنيهما بصدرك من ناحيتي فأنا أختك الصغرى و...

- قاطعتها هنا بسرعة وضيق ظاهر : والمدللة

- موجٌ مجيبة مانعة تدفق سيول دموعها من على حواف أعينها : ولكنني أحبك !

تركت هنا الفطور متضجرة وذهبت إلى صديقاتها للتبضع وشراء ما يكفي من مستحضرات التجميل (المكياج) كعادة معظم الفتيات في هذه الأعمار.

- حلمي : لا تدعي الحزن يتملكك يا صغيرتي ، أحزمي أمتعتك للذهاب للشاطئ وأبدعي في مقالاتك الجميلة حتى تبهري عقلي كالعادة وتسعدي جدتك في قبرها، كانت ترى فيكِ كل ما هو مميز عن أي حفيد آخر لها ولهذا السبب أهدتك كتابها و...

- موجٌ مكملة حديث والدها : ويجب أن أحرص عليه أشد الحرص فهو من ثروات جدتي القديمة التي تحوي كنز نفسي داخلي لمن يملكها.. أعلم هذا يا والدي فأنت تكرر نفس الكلام في كل عيد مولد لي، أعدك بفهم مكنون ذلك الكتاب والاهتمام به .

*****

دونت موجٌ ما حدث ليلة ذهابها للشاطئ فقد كان أكثر شيئًا مميزًا حدث لها.. بل كان بداية الأشياء المميزة التي حدثت لها، فقالت في مدونتها الخاصة:

قررتُ بعد التمعن في التفكير أن أذهب إلى بيت الشاطئ الذي نملكه أو كما يحب والدي ان يناديه ـ " الإستاكوزة" .

سأذهب للشاطئ أحاوره ويحاورني، أبثه شكواي ويحتضنني بأمواجه وجمال هدوءه . وبالفعل رتبت حقيبتي وبالطبع لم أنس أقلامي وأوراقي وكتابي حتى أُنجز المهام التي كلفني بها مديري بالجريدة التي أعمل بها تحت التدريب كصحفية أو كاتبة مقالات، فهي جريدة عربية إنجليزية ولحسن الحظ أن صاحبها عربي الأصل .

أهوى الكتابة والبحث والتحري في أمور شتى سواء أكانت مثيرة للجدل أو عن العوالم السفلية . دائمًا ما تخبرني والدتي بأنني لن أجد شريكًا لي في هذه الحياة ما دُمت أفكر بتلك الطريقة اللا مناسبة لفتاة مراهقة مثلي فوالدتي معتادة على أفكار ساذجة طائشة من أقاربي ولكن لم التعجب فهن فتيات أكبر اهتماماتهن في الحياة التبضع وشراء أنقى الملابس والمجوهرات والذهاب لاصطياد أكثر شاب وسيم فالنوادي

الرياضية، حقًا أتعجب ولكن الحقيقة هو أنني من الفئة النادرة من الفتيات الموجودات حاليًا في بداية القرن العشرين .

أيًا كان يا أمي من لا يتناسب مع أفكاري فهو عقيمٌ عديم الثقافة، فالقراءة غذاء للروح لا للعقل فقط، ومن لا يفكر في زمننا هذا مُصاب بالعقم العقلي، ولكن هيهات من يناقش والدتي فهي دائما تخبرني بأنني أذكرها بجدتي، ولكنها تحبني أعلم.. حالها كحال معظم الأمهات .

أمضيت ما يقارب الساعة في تجميع أغراضي وجلبت مفاتيح سيارة والدي، وبالفعل ذهبت إلى "الإستاكوزة" .

أنه منزل صغير مكون من أربعه أجزاء "غرفة نوم - حمام - غرفة للتسكع - مطبخ أمريكاني صغير "، بيت مُطل على شاطئ "سانتا مونيكا" ، فهو أشهر الشواطئ الرائعة هنا في "كاليفورنيا"، فنحن من أصول عربية ولكن نقيم هنا بعد وفاة جدتي ..

حين وصلت إلى الإستاكوزة هرولتُ إلى الشاطئ، أبتسم له بحماس وعفوية، أسمع صوته هو أيضًا يُرحب بي كأنه يشتاق لي ويشعرني بأنني فتاته التي ينتظر رجوعها بعد طول غياب، ولم لا أكون فتاته وقد سُميتُ في الأساس بـــموجٌ.

بعد مُضي ما يقارب الساعتين وبعد طول عناء من الكتابة، كتابة الكثير من الخواطر في مدونتي والمقالات المثيرة

للجدل بعضها والهادئة في البعض الأخر، فكما قلت فهو عملي ويجب أن أنهيه .. تركت الأوراق بجواري واستلقيتُ على رمال الشاطئ أتلاعب بها حينًا وتداعب هي خصلات شعري المحمر كلون الشفق وقت غروب الشمس حينًا أخر، ويكسو ردائي الأزرق بعض الرمال .

بعد قيلولة مريحة سمعت صوتًا يهمس بين أذناي ويردد : يا فتاة أفيقي ستغرب الشمس ولا ينبغي لأحد أن يظل هنا .. يا فتاة.. يا رباه من هذه ولمَ لا تفيق !!

حينها استيقظتُ منزعجة، فزعة أيضًا لم أسمع كلماته بوضوح ولم أميز من هو تمامًا، أفرك عيناي بيداي الصغيرتين - كما يدعوهما والدي- ..

- نظرتُ له باستغراب وضيق وقلت بصوت خافت على أمل أنه لن يسمعني : ما هذا الكائن ولما أتى الأن ! أنه حقًا أحمق..

- رد مستقطبًا رافعًا حاجبه الأيسر : أولًا لقد سمعتك أيتها الفتاة ذات الشعر الأحمر، ثانيًا قد علمت أنكِ عربية من زميلي فلا تستذكين وتتحدثي بالعربية على أمل أنني لن أفهم ثالثًا أنا هنا يدعونني بالمنقذ لأنني حارس هذا الشط أو ينادونني "مالك" وليس بهذا الكائن ، رابعًا وهذا الأهم هو أن الشمس سوف تودعنا وأوشكت على الغروب فيجب أن تعودي لبيتك لأن الشاطئ ليس آمنًا ليلًا.

تمنيت لو أن الأرض تنشق وتبتلعني من الإحراج ولكن اعتدلت في جلستي واخبرته بأني ذاهبة ولكن طبعًا بحنق حتى لا يظن أنه قد انتصر عليّ كما هو واضح .

عندما تركته وعُدت إلى الإستاكوزة وبدلت ملابسي أدركتُ المأساة الكُبرى وهو أن كتابي وفي داخله مقالاتي ليسوا موجودين وقد تذكرت أني عدتُ بدونه، بدلت ملابس النوم وأسرعت إلى الشاطئ حيث كنت أجلس ولكنني لم أجدهم، بالطبع قد ابتلعتهم الأمواج، ماذا افعل الأن !!

يا لحماقتي!

سوف يتم توبيخي أمام كل العاملين بالجريدة غداً ويُقال لي كما يقال كل مرة لما لا تدونين المقالات على الحاسوب كباقي زملائك، فهم أبدًا.. أبدًا لن يفهموا قيمة الكتابة بالقلم لدي .

غضبت موجٌ كثيرًا وجلست كالقرفصاء في غرفتها كعادتها حين تغضب أو تحزن، لم تكن تعلم أن فقدان الكتاب هو الخطوة الأولى في بداية حكايتها .

الفصل الثاني

الواقع قدر، والقدر ليس بصدفةٍ ولكن من منظوري أرى أن الصدفة وليد القدر.

أحيانًا يودنا الواقع أن نؤمن بالصدف وأن ما يدور حولنا محض صدف متجمعة تكوِن لنا الأمر الذي نعيش فيه ولكن لا وجود للصدف في هذا العالم المأساوي سوى إنها من ترتيبات القدر.

من الطبع قد حدث لك العديد منها وأنت بكامل التردد تؤمن بأن الصدف تلعب دورًا سلبيًا أو إيجابيًا في حياتك البالية ولكن انصت! يوقعنا الواقع في عثرات عديدة وهي التي أسميها صدف بحتة حتى يُهيئ لك تقبلك للواقع بمقولة ترددها هواجسك : اصبر لعل الصدف القادمة أحسن .. اجزع على حالك فالصدف تسيء لك شر إساءة ..لِم أنت سيء الحظ هكذا !! .. أسعد فالقدر يبتسم لك ويبعث لك فلان أو ذلك الشخص كهدية على هيئة صدفة..

هيهات على روحك..

تريثّ، فالأمر ليس بهينٍ عندما تدع هواجسك تتحكم بك ولا تتحكم بها،

شهيق.. زفير.. شهيق.. زفير.. شهيق.. زفير ..

هناك من يتحكم بك حولك فممكن أن يكمن المُتحكم في حاسوبك، هاتفك النقال أو ربما.. ربما كتابك القابع بجوارك أو المُمسك به الأن!

*****

صباحًا في شرفة أحد المباني الفاخر بنائها والتي تمتاز بنسق تلويني باهر كما هو معروف لدى الأجانب في أعمالهم ألا وهو التنظيم في كل شيء حتى الألوان يجب أن تكن مريحة لبؤبؤ الأعين، كان بدر يجلس على كرسيه الهزاز يتأرجح أمامًا وخلفًا ممسكًا بمشروب على ما يبدو مشروب ساخن يُدعى "كابتشينو" ، فهو إما أن يبدأ يومه بتعاطي حبوب مهدئة أو عدة رشفات من "الكابتشينو" الخاص به متأملًا الطيور الصباحية من شرفته سارحًا بخياله محدثًا نفسه :

- ماذا لو خُلقتُ طائر كهؤلاء! أذهب أين ما شئت ومتى شئت لا توجد تلك التحكمات التي تكبلني أين ذهبت، لا يوجد ذلك الشيء الهُلامي اللزج المُسمى الوحدة لا يوجد أيضًا الفراق، ماذا لو كنتِ أنتِ أيضًا طائرًا ونحلق سويًّا في هذا الفضاء المتسع بدلًا من العوالم الضيقة التي تُفرق بيننا!

كان بدر يتحدث إلى صورة فوتوغرافية، فهو بالأحرى يتحدث إليها مرات عدة طوال اليوم وكأنها وريدٌ قد هرب من جوف قلبه أو حجرة من حجرات قلبه الأربعة قد سئمت من التواجد داخله فقررت الانفصال عن باقي أخوتها لتقبع بين

يديه يوميًا مُسببة له كل الأذى النفسي المتكالب داخله وكأنها شهقة مكتومة ولو صاح بها لانخلعت لها قلوب معشر البشر أجمعين.

أفاقه من غفلته تلك صوت منبه المزعج ينبهه بأن الساعة قد أتمت السابعة ويجب عليه الاستيقاظ جاهلًا بأنه لم ينم في الأساس حتى يستيقظ..

- عزة : هيّا يا عزيزي الفطور قد تجهز ويناديك

- بدر من داخل غرفته : حسنًا سأرتدي ملابسي وآتي

بعد حوالي نصف ساعة ظهر بدر في رِواق المنزل بمظهره الباعث للجمال والحب فقد كان طويل القامة نسبيًا ذو شعر أسود لامع قصير إلى حد ما، متميز بأعين بنيّة كالقهوة البرازيلي، مرتديًا بِنطالًا أسودًا وقميصًا من القطن الطبيعي أسود اللون أيضًا وكأنه أقسم أن يظل في حدادٍ للأبد.

- عزة : ما بكَ يا عزيزي لا تغير هذا اللون القاتم ؟!

- بدر : أرجوكِ يا أمي كُفي أنتِ على الأقل عن هذا الحديث تاركةً المجال مليئًا بوالدي فقط، فلستُ بحمل سماع نفس الكلمات مرتين

- عزة : حسنًا يا ولدي سأدعك على راحتك...

- بدر مستفسرًا : أين أبي !

- عزة باستياء : لم يأت منذ ليلة أمس فقد انشغل بالعمل وبات ليلته هناك .

سمح بدر ببعض الشطائر تتشرف بدخول معدته لا حبًا فيها بل لعدم إزعاج والدته، فهو محبٌ كبيرٌ لها ولكن والده هو من تتمثل فيه زلازل الإزعاج الذي تهدم هذا المنزل شيئًا فشيئًا.

*****

استيقظت موجٌ بعد قوقعتها على الأريكة تشعر بصداع نصفي يدمر جمجمتها وكأن خلاياها العصبية تآمرت عليها تلك الليلة، استلقت في حوض استحمامها تسمح للماء المنهمر أن يعيد عليها ذكريات الليلة السابقة وفقدانها لكتابها، والبخار الهادئ المتصاعد ينظف عقلها من مخاوفها .

ظهر لها شريطٌ طويلٌ من ذكريات عديدة قد مرت عليها جعلت قلبها مليء بالندوب تارةً ومُزهرٌ تارةً أخرى، ارتادت على مسامعها كلمات جعلت تترد كثيرًا ولكن دون جدوى في معرفة ماهيتها ولكنها تؤلمها بشدة فتلك الترددات الداخلية هي من تبعث الصداع لها. انتهت من استحمامها وارتدت ملابسها سريعًا حتى تستطيع الرجوع للبيت تاركةً سيارة والدها أمام المنزل، بعد مرور نصف ساعة قد وصلت موجٌ إلى البيت تاركةً مفتاح السيارة لدى حارس المنزل الخارجي واستقلت هي سيارة أجرة للذهاب إلى الجريدة وتلقي التوبيخ من مديرها.

*****

بعد عام من نضوج موجٌ اكتشفت حينها مصيرها وما وُلدت موهوبة به فهي لم تكن عادية أو كتابها الذي لم يكن عاديًا، ظلت أيامًا غير مستفهمة ماذا يجري معها بالأخص أنها لم تحك ما يحدث لأحد خوفًا من اتهامها بالجنون.. فقد لاحظت أكثر من مرة أن ما يحدث، يحدث وهي بمفردها بعيدة عن أي شخص وليس في ظروف عادية ..

- هنا مقتحمة غرفة موجٍ وبنبرة غاضبة : أين حقيبتي الوردية؟

- موجٌ : لا أعلم. وكيف لي أن أعلم أين أغراضك وأنتِ لا تسمحين لي بدخول غرفتك!؟

- هنا : ولهذا السبب سرقتي حقيبتي المفضلة حتى تغضبينني

- موجُ : أسرق!

ما هذه التُراهات !

- هنا متحركة في كل أرجاء الغرفة : أصمتي، أعلم أنك تدعين عدم معرفة مكانها ولكنك سرقتها مني، سأبحث بنفسي عنها

- موجٌ : أتركي كُتبي.. أتركي أغراضي وكُفي عن مضايقتي أرجوكِ

- هنا : ها هي، ها هي الحقيبة أيتها البلهاء أتظنين أنني لن أجدها.. أمي أمييي اقبلي إلى هنا، ها أنا وجدتها في غرفتها كيفما أخبرتك

- موجٌ والدموع تنتظر إذنها حتى تُشرف على الخروج من أسفل غددها الدمعية : أقسم أنني لا أدري ما جاء بها إلى هنا يا هنا، صدقيني

- فريدة مقبلة على صوت ابنتيها العالي : ماذا يحدث هنا؟ ما بكِ يا موج ولمَ تبكين يا عزيزتي ؟؟

- "هنا" : ابنتكِ يا أمي سارقة، سرقت حقيبتي وخبأتها خلف خِزانتها آملةً أنني لن أجدها

- موجٌ بصوت متقطع نظير انهمار دموعها : لا يا أمي أنا لستُ سارقة ولا أعرف عمَ تتحدث، أقسم أنني لا أعرف شيء

- فريدة والحيرة قد ظهرت على تقاسيم وجهها : ولكن يا موج كيف ستأتي الحقيبة من تِلقاء نفسها وتختبئ خلف خِزانتك!

- موجٌ بعد دقيقة تفكير أنه مهما حدث ومهما قالت لن يصدقها أحد، تمسح دموعها بكفها الرقيق بعد تحمر وجنتيها وأنفها الصغير : أسفة يا أمي أنا من خبأتها كنت فقط أريد أن أمزح قليلًا مع هنا ولم أكن أعلم أنها ستغضب لهذا الحد.. أعتذر مرة أخرى.

- هنا والاستغراب قد تملك جوفها : أنتِ تعترفين إذًا؟

موجٌ غير مجيبة سوى بإماء رأسها مؤكدة على كلامها..

- فريدة : ستتعاقبين على ذلك يا موج، هذا الأمر لن ينتهي هكذا ..

خرجتا تاركتين موج هائجة كالموج في بحر أحزانها ودموعها قد تكون أشبه بالشلالات في ليلة عاصفة، لم تنتظر حتى تهدأ فقد هرولت إلى كتابها تبثه شكواها بالحديث وكأنها تتحدث إلى جدتها لا إلى كتاب، مجرد جماد ..

فتحت تقلب صفحاته التاريخية ودموعها تتساقط على إحدى صفحاته وإذا بها تُصعق مما رأته..

أفاقت من شرودها على تناثر دخان سيجار السائق وهو يميل برأسه ناحيتها يعلمها بأنها قد وصلت إلى الجريدة فشكرته وأعطته حسابه وتجهزت لما ستلقاه في الأعلى..

*****

كانت تصعد الدرجات غير منتبهة لمن يهبط أو يصعد بجوارها وإذ بها تطلق صرخة انتشرت في الأجواء وانتبهت إلى القهوة التي لطخت تنورتها السوداء رافعةً رأسها لترى من فعل تلك الجريمة..

- بدر متوترًا : أأأ..أنا لم أقصد أبدًا ما حدث يا موج أُعذريني!

- موجٌ في محاولة فاشلة في السيطرة على أعصابها : وبمَ سيفيدني اعتذارك الأن يا سيد بدر؟ أنت جاهل بما فعلته بيّ

قد سبق بدر سكرتير رئيس الجريدة وقام بنداء موج للدخول إليه فورًا

- موج مستأذنة للدخول : صباح الخير سيد أمجد

- أمجد مستديرًا بكرسيه غير ناظرًا إليها : صباح الخير يا موج، ها أين مقالات الأسبوع السابق المتأخرة عليكِ؟

قبل تلعثم موجٍ بالإجابة فقد أنقذها رنين هاتفه

- موجٌ وهي تهمهم ببعض الكلمات : ماذا سأفعل الأن! لو علم أن المقالات قد أضعتها من الممكن أن أخسر الوظيفة

يا إلهي، حتى ملابسي قد اتسخت..

وجدتها!

بعد مرور حوالي 3 دقائق ونصف

- أمجد : ها يا تلميذتي المبتدئة أين مقالاتك ؟

- موجٌ متصنعة الإحراج : عليّ الاستئذان بالرحيل سيد أمجد فلا يجدر بتلميذة الأستاذ الكبير أن تتواجد معه في نفس

المكان وهي متسخة الملابس خصوصًا وفي الجريدة ضيوف من الخارج

- أمجد وهو يخلع عنه نظارة القراءة : أنتِ على حق، ارجعي اليوم إلى منزلك منعًا للإحراج أمام الضيوف، وغدًا نكمل حديثنا، وانتبهي فيما بعد لملابسك.

- موجٌ بنبرة استهزاء : أنا كنت منتبهة لولا ابنك السيد بدر هو الذي يسير هائمًا وكأنه في عالم آخر

- أمجد وقد ظهر عليه الإحراج من تصرفات ابنه : حسنًا.. حسنًا، لا داعي للثرثرة، هيّا اخرجي، انتهى وقتي معك.

حيته موجٌ مستأذنة بالانصراف وهي مبتسمة، فقد نجحت خطتها فهي تعلم كم يهتم أمجد بالمناظر، ولا يحب من يجلب له الإحراج أمام الصحفيين الآخرين .. بالرغم من أنه يظهر على ملامحها البراءة إلا أنها مليئة بالحيل وكيفية الخروج من المواقف الصعبة كهذا الموقف السابق.

*****

أشرف الليل، وغطت ظلمته الكون تاركًا النجوم تضئ عتمته وتبعث لمن يراها الشعور بالبكاء أو البهجة ومن الممكن الخوف أيضًا، سحقًا لليل وما يفعله بالمرء.

في نفس الشرفة، يتواجد ذاك الشخص الممسك لصورة فوتوغرافية يحاكيها وكأنها شخص حيٌ يُرزق، ماثل أمامه،

يحتضن كفيها.. يقبلهما بين الفينة والأخرى ويتأمل زُرقة أعينها الأشبه بالبحر الهادئ فيه نهارٍ صافٍ.

- أعلم أنه من المستحيل الرجوع عن الأمر، ولكن هل لكِ مسامحتي؟ هل لكِ أن تأتيني بين الحين والأخر في منامي حتى إذا صببت كل الغضب الكامن داخل قلبك المتهالك في جوف قلبي، ولكن دعي أعيني ترى جمالك الإلهي، فو الله قد ذَبُلتْ من البكاء، لا.. لا.. هي لا تبكي، هي تنزف حزنًا وتتقطع ألمًا من كثرة البحث بين أوجه الناس على ملامحك، فمن الممكن القدر يبعث لي صدفة رؤيتك ويبتسم لي الحظ..!

*****

لا أؤمن بالصدف أو الحظ، ولكن ما يحدث غريب، حتى وهي بعيدة عني أنقذتني ببعث بدر لي يسكب قهوته على تنورتي عمدًا لكي ينقذني من بطش أمجد المتغطرس .. هل الممكن أن تكون مجرد صدف عادية، ولا داعي لأن أجعل هواجسي هذه المرة تتحكم بي وتتلاعب بي يمينًا ويسارًا!

ظلت موجٌ تحلل أمور يومها كالعادة، ولا تهدأ حتى تعلم سبب كل شيء حدث لها، أقصد لا تهدأ أصواتها الداخلية حتى تخبرها بكل الحقيقة وماهية الأحداث، من الممكن أن تكون مجرد هواجس ولكن ذلك ليس في حالة موج.

الفصل الثالث

استوقفني العديد من المقولات فيما يُسمى بالحب، وبالأخص الحب من طرف واحد.

- يقول ليو تولستوي : لابد أن يكون الحب متبادلًا، إن الحب من طرف واحد تعاسة أبدية.

- وليّم شكسبير : الحب أعمى، والمحبون لا يرون الحماقة التي يقترفونها .

- محمود درويش : هناك من يرى الحب حياة وهناك من يراه كذبة، كلاهما صادق فالأول التقى بروحه, والثاني فقدها.

ومن أنت يا سيدي الحب حتى نطيع نواياك، أو نشتهي أن نكون ضحاياك؟

غريب هو الحب، والأغرب المحبّون!

الحب ما هو إلا تفاصيل غير حقيقة، وهمية تتشابك مع دقائق العمر حتى تحتويه ويقولون فلان هذا يحب ..وكيف عرفت أنه كذلك؟! يجيبهم بأنه كالهائم يرى الملاك على الأرض يتجسد في شخص ما، فجأة يستمع إلى موسيقى هادئة وبين الفينة والأخرى يبتسم من تلقاء نفسه، هو شخص

كثير الشرود، ومن الإمكان أن تشعر بضربات قلبه تقفز وتنخلع من جوفه حين يرى محبوبه .

ولكن إذا أصبح ذاك الشخص الهائم الهادئ وحشًا نفسيًا آدميًا يرى الأرض بقعة سوداء تحتل الكون الذي هو بالأحرى السواد الحقيقي؛ فأعلموا أنه فقد روحه وشغفه ممن أحبه.. أَوليس هذا قاسيًا؟

الشاطئ مُستكينة أمواجه، الأطفال يزينون رمالهم بأشكال هرمية وأحيانًا يغطون أجسادهم بها والضحكات الطفولية البريئة تتعالى. كان يجلس شاردًا تتخلل الماء أطراف أصابع قدمه بينما هو يجوب السماء الصافية بعينيه باحثًا فيها عن شيء يهدئ ثورة قلبه فقد أصبح على أهبة الاستعداد للثوران وكأنه بركان خامد منذ أمد، وبفعل الزلازل الداخلية أيقظته..

- سُعاد : ماذا ستفعل الأن يا بني فقد نفد المال الذي تركه والدك بعد وفاته ؟؟

- مالك : لا تقلقي يا أمي لقد قدمت أوراقي للعديد من الشركات آملًا الرد السريع وليس باليد حيلة سوى الانتظار

- سُعاد : وما لكَ لا تحدث صديقك حسن يساعدك فالبحث عن عمل معه ؟!

- مالك بعد تفكير وقد أعطته والدته فكرة لم تخطر على باله : لم أرد أن أثقل هم أحدٍ ولكن حسنًا سأحدثه بشأن عمله وأن يرى لي وظيفة غير مشغولة لديه والله المُعين..

- سعاد : أعلم يا بني أن الحِمل قد اشتد عليك، أعذرنا ليس لنا غيرك

- مالك مقبلًا رأسها : أنا مولود لخدمتك يا أمي ما حييت.

بعد دقائق نقاش مع والدته دخل إلى غرفته التي تمثل مكان للهروب من الواقع الأليم، يجلس على أريكته ضامًّا رجليه بالقرب من صدره حيث يدفن رأسه فيهما ويبكي بصوت مكتوم والدموع تبلل ملابسه ..

وبعد لحظات يجري من في البيت تجاه ذاك الصوت الناتج فيدخلون غرفة مالك وإذ بهم يجدون المرآة قد تشققت إثر ضربة قاسية والدماء تنزف من كفه.

- مالك والغضب يملؤه ولكنه يحاول أن يكتمه : أخرجوا جميعكم الأن وأنا سأنظف المكان

- حنان : دعيني أنا معه يا أمي وخذي ملك للخارج هيّا.

- مالك: .....

- حنان : أعلم ما تشعره به يا عزيزي فأنت ابني وليس أخي الصغير وبإمكانك بث شكواك في حضني و...

- مالك لم يدعها تكمل حديثها واحتضنها بشدة : أتألمُ كثيرًا وأشعر بضيق الحال وسأنفجر في أي لحظة، أخشى عليكم من ذلك..

- حنان : لا تقلق علينا بل أقلق على روحك تلك المُحطمة، ما لها لا تهدأ !!

أيقظه من شروده في السماء حسن بضربة خفيفة على ظهره مازحًا معه

- هيّا قد حضرتُ لنا غداءً فاخرًا سوف تقضم أصابعك خلفه، ويضاهي طعام العمة سُعاد.

- مالك مبتسمًا : أنت تعلم أنه لا طعام يضاهي طعام أمي يا أفشل طباخ رأيته

- حسن : حسنًا يا أفشل منقذ، فيمَ كنت شاردًا ؟

- مالك وقد تبدلت الابتسامة إلى حزنٍ : اشتقتُ لأهلي كثيرًا.. واشتقتُ أكثر لملك فهي ليست مجرد أختي الصغرى؛ بل مدللتي التي أشتاقُ لسماع ضحكاتها المتعالية في المنزل .

شرد حسن متذكرًا ملك ونظرتهما لبعضهما البعض حين زيارته لهم في المنزل، فهو هائمٌ بها وهي تفيض حبًّا له، وحين رؤيتها يتورد قلبه، فهي كالبنفسج بل تفوقه جمالًا وتوردًا بأعينها التي تضيق حينما تضحك أو تلك الحفرتين

اللّتين تزينان وجنتيها، وتلك النظرة المملوءة بالحب والشغف؛ فهي كشجرة في فصل الخريف يتساقط منها وريقات الحب والأمل وهو كان بمثابة سلة تتواثب قفزًا حتى تسقط تلك الوريقات في جعبتها ولا تتركها لغيرها.

- مالك ضاحكًا : ها يا طباخنا فيمَ سرحت الأن ؟

- حسن شاعرًا بالإحراج : لا.. لا.. لا شئ هيّا كي لا يبرد الطعام.

بعد حوالي نصف ساعة

- مالك مستفهمًا : ما هذا الإزعاج الذي تسببه ؟

- حسن لا يعيره اهتمام : يجذبني جدًا هذا الكتاب بسبب غرابته

- مالك : أرني إيّاه لحظة

- حسن : تفضل ولكن أحرص عليه فهو مِلكٌ لمالكِ أحد بيوت الشواطئ التي حولنا..

- مالك آخذًا الكتاب بحرص : ما هذا الاسم!

أهو مجرد كلمة أم اسم صاحبها .. ولكنه جميل

(موجٌ)..

*****

صباح يوم جديد في الجريدة

- لينا بلكنة عربية ضعيفة : صباح الخير يا "موجي"

- موجٌ ضاحكة : "موج" يا لينا، أرجوكِ أحفظيه جيدًا

- لينا : تعلمين أنني غير متمكنة قليلًا من أسمائكم ولكن بسبب حبّي لكِ سأتعلم العربية جيدًا.

- موجٌ : صباح اللُطف أجمعه عليكِ يا عزيزتي

- بدر قادمًا عليهم : صباح الخير آنسات العمل

- لينا سارعت بالرد حين وجدت لامبالاة من موج : صباح الخير بدر

- بدر وأعينه تتأمل وجه موج المُضيء ولكن لا مانع من بعض الغضب تكسو ملامحها الجذابة : أَما زلتِ منزعجة مني ؟؟

- موجٌ تتذكر إنقاذه لها من والده بسبب ما فعله وليس لها الحق أن تغضب بل يجب أن تشكره : لا عليك، ولكن هل تعلم ما سبب تجمعنا عند الأستاذ أمجد ؟!!

- بدر : لا أعلم، فأنا لم أره بالأمس و...

- قاطع حديث موج مع بدر دخول زميلتهما الرابعة برِداءٍ وردي قصير إلى حد ما، يتميز بأنصاف أكمام، ذات شعر أسود مسترسل يغمر كتفيها، تنبع منها رائحة زكيّة وتعلو خطواتها صوت طرقعة كعب حذائها على الأرضية : مرحبًا بدر

- بدر : مرحبًا ضيّ، كيف حالك؟

- ضيّ والشوق قد غلب عليها : بحال جيد طالما أراك أأأقصد عندما نتجمع جميعنا في العمل..

- موجٌ : صباح الخير يا ضيّ

- ضيّ غير معيرة لها انتباه : بماذا كنتْ تتحدث قبل أن أقطع حديثَكَ ؟

- بدر متعجبًا من تجاهلها لموجٌ : كانت موجٌ تسألني إذا...

- ضيّ مقاطعة حديثه فورًا : ما رأيك في تناول "الكابتشينو" المُفضل لديك ؟

- بدر فاهمًا ما يجوب في خاطرها : لا شكرًا، فقد تناولته في المنزل، استأذنكم عليّ أن أنهي بعض الأشياء قبل الاجتماع

موجٌ وضيّ في صوت واحد : حسنًا، لا تتأخر

تعالت ضحكة بريئة من لينا مع بعض الإحراج الذي غمر موجٌ على الكثير من الغضب من قِبل ضيّ .. حيث تكن ضيّ لبدر الكثير من المشاعر التي تجعله لا يغادر خاطرها بالمرة، فقد انكسر قلبها مِرارًا لتجاهله لها ولكن قليلًا ما

كانت ترى السماء تتبسم لها حين كان يحادثها بلين ورفق متناسيًا ما حدث بينهما قديمًا.!

بعد ساعة من المحادثات الجانبية بين لينا وموجٌ ومراقبة ضيّ لبدر وهو يعمل، قام سكرتير الأستاذ أمجد بندائهم..

- أمجد : مرحبًا بكم جميعًا، وددتُ إعلامكم بسفري وأني قد سمحت لكم بأخذ إجازة لمدة أسبوع أو اثنين لحين عودتي من السفر، ولستُم مكلفين أيضًا بعمل.

فرح الجميع بتلك المفاجأة التي منحهم إيّاها القدر حتى ينالوا قسطًا عظيمًا من الراحة..

- أمجد : ولكن سأختار أحدًا منكم يشاركني الرحلة لتحري بضع أمور في قضية أعمل عليها ومنها أيضًا سينال نزهة جديدة

أدرك الجميع بأنه سيختار بالطبع بدر لأنه ابنه وهو أقدم صحفي في الجريدة ولديه الخبرة الأكثر ولكن..

*****

"عصر اليوم"

مالك مُستلقيًا على فراش قد أعده بنفسه حيث أختار أمتن شجرتين وربط بينهما ذاك الفراش؛ حتى يتيح له النوم تحت نجوم السماء ليلًا، يعد النجوم حينًا حتى يغلبه النعاس والحين

الأخر يهيم بنظره في السماء حيث تتشكل له وجه ملائكي مفتون به لا يقدر على نسيانه ولكن من هي، لا يعلم بعد ..

قد أشعل سيجارًا تاركًا دخانه يملئ رئتيه، والنيكوتين يتخلل مخاوفه وأشواقه ومن ثم يخرجها جميعها مع طلوع الدخان من أسفل أنفه أو من بين شفتيه، ولكن الجديد أن مايشغل باله في تلك اللحظة كان ذلك الكتاب الذي أعطاه إياه حسن وكيف كان شكله غريب بعض الشيء، وأوراقه بالية ولايوجد فيه كلمات منثورة سوى بعض المعلومات التاريخية الخرافية واسم منقوش على غلافه الأمامي وهو ما أثار ذهنه وشغله.

(موجٌ)..

قام متمشيًا إلى غرفته حتى يجلب الكتاب، يتصفح فيه مجددًا ولكنه قام بأسوأ فعل قد يقوم به شخص مثله أو في مثل تلك الظروف الغامضة المحيطة بذاك الكتاب ..

- محدثًا نفسه : فاتت فترة منذ أن بعثت خطاب إلى حنان ووالدتي فهي تحب الخطابات عن الرسائل الإلكترونية، سأقوم بكتابة واحد لهما على تلك الصفحات البالية.

قام بقطع صفحة هي أقلهم ضعفًا ووهنًا من الكتاب و...

*****

تسير موجٌ بخطوات بطيئة تكاد تشبه السلحفاة في مشيها متذكرة أغرب شيء رأته منذ أن بدأت العمل بالجريدة..

- أمجد : ولكن سأختار أحدًا منكم يشاركني الرحلة لتحري بضع أمور في قضية أعمل عليها ومنها أيضًا سينال نزهة جديدة

كان الجميع متوقعًا اختياره لبدر ولكن هل تُصيب التوقعات!!

- أمجد مُشيحًا بوجه عنهم : لقد أخترتك يا لينا كي ترافقينني في السفر.

صُعقت موجٌ من اختياره فقامت واقفه كالبلهاء فاتحة فاها ويكاد تظهر المئات من علامات التعجب فوق رأسها كالكرتون، وفي نفس اللحظة اتسع بؤبؤ عينيّ ضيّ تجاه أمجد ولم ينبس بدر ببنت شفه لِما حدث، فأخيرًا قد تأكد من شكوكه..

- ضيّ : ولكن يا سيد أمجد، بدر هو الأحق بالسفر؛ لما يتمتع به من خبرة

- أمجد محاولًا إيجاد مبرر : ولذلك السبب لم أختره حتى يدع الفرصة لزملائه بالتعلم والتحري.

- موجٌ : ولكن ياسيد...

- أمجد مغلقًا الحديث : قد انتهى الحديث في هذا الأمر، هيّا اذهبوا إلى عملكم الأن .

قاموا يستأذنوه للخروج ولكن أوقفتهم مرة أخرى كلمات صادمة تخرجها شفتاه الملعونتان

- أمجد : سأنتظرك يا لينا غدًا هنا تمام الساعة العاشرة حتى نذهب سويًا للمطار

لم يرَ أيًا منهم تلك الابتسامة التي أخفتها لينا بأعجوبة لوفاء أمجد بوعده..

أفاقت موجٌ من شرودها على صوت مزمارات السيارات المارة بجوارها، ثم أخرجت من حقيبتها قطعة من "الشيكولاتة" المفضلة لها تستمع بمذاقها حتى تصل للمنزل مستعيدة ذكرياتها مع جدتها، تلك الذكريات القليلة جدًا، وتذكرت أيضًا كتابها الضائع التي تحلم به في كل ليلة تناديه حتى تجده في مكان ما غير معلومة تفاصيله إلى الأن.

شعرت بضربات قلبها تتسارع، لا.. بل شعرت بخروج روحها من صدرها فألقت بقطعة الشيكولاته جانبًا خوفًا من أنها تكون حساسية منها ولكنها تعلم أنها لا تتحسس منها ..

- تتعالى نبرتها محدثة نفسها : ما لأمر.. ما بي ؟!

يا لله ساعدني لا أقوى على تحمل هذا الألم ..

كانت تجمع قواها لتخرج هاتفها النقال تخبر والدها كي يأتي لنقلها إلى أقرب مشفى، ولكن..

بعد ثوانٍ تكاثرت الناس في مكان ما حيث تراهم يهرولون ناحية فتاةٍ كجيش من النمل يحاولون إفاقتها بعد سماع تلك الصرخة التي انخلعت لها القلوب،

فقد فقدت موجٌ وعيها..

الفصل الرابع

الزمن..

مُسمى تتوقف عنده حياتنا، منا من لا يسهو عنه ومنا من يتركه يذهب هباءً. فالزمن يهرب ونظل نحن في جُعبته بين الحين والأخر نتذكر ما فعله بنا فنبتسم أو تتساقط دموعنا داخليًا، فإذا ضحك لك فلا تسعد كثيرًا لأنه لا يبتسم لنا لوقت طويل.

لا يوجد من تحدى الزمن حتى الأن سوى الأقلاء الذين لم يطل تحديهم كثيرًا، وانتهت بهم المعركة، لا نفعل سوى التخيل أو التأمل بقدرتنا في التحكم بالزمن بكلمة (لو) ..

لو رجع بنا الزمن لفعلنا كذا أو كذا ..

لو فقط نستطيع التحكم فالوقت لرجعنا بعض الأيام ونغير مشاعرنا تجاه الحقراء الذين لا يجدر بهم سوى القمامة يُلقون فيها مع أمثالهم هالكين حتى نهاية العالم..

لو استطعنا التحكم فالزمن لما ارتكبنا كم هذه الجرائم في وقت غضب ولحظة يأس وتهور ..

لما فارقنا أناس نحبهم لمجرد القليل من الهواجس الشيطانية.

يقول شيكسبير: الزمن بطيء جدًا لمن ينتظر..

سريع جدًا لمن يخشى..

طويل جدًا لمن يتألم..

قصير جدًا لمن يحتفل..

لكنه الأبدية لمن يحب.

قال جدي لي ذات مرة : مؤلمٌ جدًا أن تناجي الله أن ينسيك ماكنت تناجيه أن يديمه لك..!

يأتي ليلنا نتذكر العثرات التي أوقعنا فيها الزمان، سواء أكانت بسبب تأخرنا أو تسرعنا.. لا ندري ما هو الأصح لنا، أنتعامل مع الزمن على أنه أبدي لا رجعة فيه ؟

أم نتعامل معه على أنه عدونا لا يجب أن نستسلم له بقدر الإمكان ؟

*****

- اشتقتِ ليّ ؟

- .....

- لا تستغربين الوضع

- أين أنا؟

- أنتِ بداخلك

- ولمَ المكان مُظلم ؟

- لا أدري يا عزيزتي فهذا داخلك أنتِ وأنتِ الوحيدة التي بإمكانها أن تجد الإجابة ..

- مهلًا لا تذهبي؛ فقد اشتقتُ لكِ كثيرًا، لمَ حملتني تلك المسئولية الضخمة فأنا لا أقوى عليها ؟

- ارجعي بالزمن، وابحثي في نفس المكان الذي بدأت فيه الحكاية.

- أيُّ حكاية ؟

- حكايتكِ يا صغيرتي التي ولدتِ من أجلها

- وما تلك الهواجس التي تنتابني ؟

- ليست هواجس، إنها أصوات الحقيقة اختارتك لتكوني جسدها

- لقد ذَبلتُ..

- استعدي يا صغيرتي، فها قد بدأت حياتك الحقيقية

- قد وعدتني بأنك ستظلين معي !

- وها أنا بجوارك

- ولكني أضعته بإهمالي..

- ستجدينه وسيجدك

- كيف ؟

- قد أخبرتك، فقط ابحثي في المكان الذي بدأت فيه حكايتك

- هل لي بسؤال! هل ما يحدث معي حقيقي أم أنني قد جُننتُ منذ زمن ؟

- بضحكات متعالية : كل شيء حقيقي يا صغيرتي، كل ما يحدث معك واقع وحقيقي، ولكن هو واقعي معك أنتِ فقط، أنتِ جزء منه وهو جزء منكِ

- ولمَ الدموع ؟

- لأنها أنقى شيئًا يملكه الإنسان الحقيقي على مر العصور ..

- ولمَ الزمن ؟

- لأنه مفتاح الجرائم، وإكليل المشاعر، وصدق الحقائق، وكاشف الزيّف ..

وتذكري يا صغيرتي، لا تدعي الزمن يؤلمك حتى لا يتخللك، ويستولى عليكِ

- انتظري لا تذهبي، ابقي معي..

- ارجعي بالزمن وابحثي، ارجعي بالزمن وابحثي.. ارجعي بالزمن وابحثي.

بعد غيبوبة دامت ما يفوق الساعتين، أفاقت موجٌ في المشفى ومن حولها يتراص أناس مجهولون بالنسبة لها، وبجوارها كانت تجلس والدتها ومن ثم والدها

- فريدة : حمدًا لله على سلامتك يا عزيزتي، بمَ تشعرين الأن؟

لم تقدر موجٌ على الإجابة واكتفت بإغلاق جفنيها قليلًا

- حلمي : ماذا أصابك يا صغيرتي ؟

- موجٌ بصوت خافت : لا أتذكر شيئًا، كل ما أتذكره شعوري بأنفاسي تتعالى وكأن روحي تغادرني

- حلمي : والكتاب !

- موجٌ مستفهمة : ماذا؟

- فريدة : أيُّ كتابٍ الأن!

هذا ليس وقت كتبٍ، أريد أن أطمئن على ابنتي يا حلمي..

- قاطع حديثهم المُبهم دخول الطبيب : حمدًا لله على سلامتك، بإمكانكما أخذها لتستريح في المنزل فلا داعي الأن للمشفى.

- فريدة : ما سبب إغمائها ؟

- الطبيب : ليس هناك سبب معين، فمن المحتمل أن تكون بوادر حساسية من الحلوى والسكر الزائد

- حلمي : شكرًا أيها الطبيب، سوف أقوم بالإجراءات لخروجها الأن.

ظلت فريدة تحتضن موج وتتلاعب في خصلات شعرها برفق، ولكن موجٌ هائمة في عالم آخر تستعيد ذكريات حديثها وتلك الهواجس التي تتردد عليها مسببة ذلك الصداع المزمن .

*****

كانت الغرفة غير مُهندمة، متبعثرة الأثاث، تحوي أرضيتها على الكثير من شرائط الأدوية المهدئة الفارغة والقليل من الورق المكور مُلقى في سلة المهملات.. هي ليست سلة للقمامة بل هي سلة تقبع فيها أوراق ذات كلمات يومية حزينة منثورة فيها.

الحزن يجعلك كالقلم الرصاص ذي السن الجمبري، فتظل تكتب جمل معاناة كثيرة أو كتاباتٍ مضيئة حتى يتقدم بك العمر وينتهي القلم ولا يظل سوى جمل مكتوبة.

يتذكر بدر ماذا حدث في حياته، وأنارها قديمًا..

(منذ سنتين وبضعة أشهرٍ)

كان هناك في تلك الجريدة صحفيون مبتدئون يعملون بعد تخرجهم من الجامعة، كانت تلك المجموعة مكونة من أربعة أفراد؛ فتاتين من نفس العمر، وفتاة تصغرهم بعام، وشاب قريب من أعمارهم . كانت تلك الفتاتان غير جديرتين بالصحافة ولا عملها، ولا يهمهما سوى الشهرة الناتجة عنها، بينما الفتاة الأصغر كانت تفوقهما عقلًا وجمالًا، فكانت تمتاز بتوسط قامتها مع عينين تلمعان في ضوء الشمس كلون العسل في خلية النحل، ذات شعر قصير بنيٌ، ووجنتين حمراوين دون تدخل مستحضرات التجميل في ذلك، وبشرتها لم تكن ناصعة البياض، ولكنها كانت كالقشطة الطازجة، نبرة صوتها يبعث الأمل في الحياة، وصوت ضحكاتها كمعزوفة لبيتهوفين تُطرب لها الآذان .. كانت ذات قلبٍ صافٍ لا يعرف الشر أو الحقد الذي يتسبب في أبشع الأمور.

فمن العقل أن يغرم بها كل من يراها؛ بل يأسره حبها..

قد ملأت قلبه حبًا وأملًا، ينظر لها كنظرته لنجمة عالية تجوب في سمائه ليلًا، ونهارًا أيضًا .

ظل العديد من الأيام يحاول أن يحادثها في أمور خارج عملهم، ولكنه يخجل أحيانًا والأحيان الأخرى يشعر بعدم استجابتها له.

- بدر يمسك بهاتفه صباح يوم الجمعة : صباح الخير يا نوران

- نوران والنوم يغلب على نبرتها : صباحك طيبٌ يا بدر

- بدر صامت :....

- نوران : ما بكَ يا بدر ؟ أأنتَ بخير ؟

- بدر تتملكه الجرأة : أتقبلين العشاء معي مساء السابعة ؟

- نوران بعد نصف دقيقة تحاول استيعاب الطلب وبنبرة هادئة : نعم، أقبل

- بدر : ماذا! بماذا تفوهتِ للتو؟؟

- نوران والابتسامة تتخفى داخل حديثها : قد قبلتُ دعوتك للتو، أم أنك تود تغيير ردي!

- بدر مسرعًا : لا.. لا، تغيري ماذا .. سآتي إليكِ في الحال

- نورن وضحكتها تنير قلبه: كيف الأن! نحن مازلنا الثامنة صباحًا

- بدر وقد شعر بالغباء والتسرع: أعلم ذلك، أنا فقط أمزح معكِ، في انتظارك السابعة مساءً

- نوران : حسنًا.. إلى اللقاء

أغلق بدر الهاتف ودقات قلبه تتراقص بداخله، فهو الأن عالقًا بين الخيال والواقع، أهي حقًا وافقت على طلبه، أم هي لم تُجب من الأساس !

كانت نوران كذلك، فهي تنتظر تلك الكلمات منذ فترة تَعرُفها عليه، فقد لفت انتباهها منذ رؤيتها له، فهو ذلك الشاب الوسيم قليلًا، المثقف، مستقل الشخصية عن والده، والأهم أنه من دق له قلبها. قفزت من على فراشها شاعرةً أن الزمن يبتسم لها وها هي ستعيش قصة حب كمثل كل الفتيات في نفس عمرها. اشعلت النار كي تجهز فنجان قهوتها الصباحي، وتأكل معه شطائر مربى الفراولة كما اعتادت عليها في صغرها مع سماع صوت فيروز العذب؛ حتى تبدأ يومها بكل طاقتها.

مرت الساعات والدقائق ببطء السلحفاة على كليهما، يحاولان ترتيب الحديث في مخيلتهما حتى لا يظهران بمظهر أبله أمام بعضهما البعض .

قد دقت عقارب الساعة السادسة، تنبههما باقتراب الموعد الحاسم ..

فتحت خزانتها حتى تختار أرقى فستان لديها، وفي الناحية الأخرى كان يختار بدر أكثر قميص أنيق لديه .. وها قد أتت السابعة مساءً، حيث يقف أمام المطعم في انتظار وصول جلالة الأميرة بالنسبة إليه، فتظهر نجمة تسطع وسط الظلام تكشف عن جمال خلقة الرب وبدائعه التي تجلت في خلقها.. فكانت نجمة لامعة ذات فستان زهري ليس بالقصير أو الطويل فهو متوسط الطول مثلها، ولكنها زادت طولها قليلًا

بارتدائها لحذاءٍ ذي كعب رفيع يتميز بلمعان سواده، وحقيبة صغيرة تحملها على كتفها، المُنسدل عليه شعرها القصير المُزين باللا شيء فيه.. جَملت شفتيها بأحمر شفاه تاركةً وجنتيها تحمر خجلًا دون شيء، كانت عينه تتأملها سارحًا عن باقي الكون القابع حوله.

حين نزلت هي من السيارة كانت عينها تفتش بين المارة عليه فوجدت من يقف ينظر إليها في إشعاع بهجة، فلمعت عيناها، وبالأخص حين رأته بذلك المنظر الذي جعل قلبها يشتعل غيرةً عليه من جميع فتيات العالم، وما لها لا تغار عليه وهو بذلك القميص الأسود اللامع ورائحته الذكية التي أنعشت قلبها !

- بدر : مساء الخير سيدتي

- نوران بخجل : مرحبًا..

قام بإدخالها المطعم وجلسا على تلك الطاولة المحجوزة باسمه، ثم حرك الكرسي قليلًا بيده مشيرًا لها بالجلوس كما في الأفلام السينمائي، ثم جلس هو في الجهة المقابلة لها.

- أتحبين تناول أي مشروب قبل أن يجهزوا العشاء ؟

- والخجل مازال مسيطرًا : حسنًا لا مانع في بعض المياه الغازية المثلجة

- وهو مغرمٌ : كما شئتِ سيدتي

- بعد بضع دقائق من السكوت: هل لي بسؤال ؟

- بالطبع

- بدر متنحنحًا : من أين لكِ بكل هذا الجمال ؟

- نوران : .....

- مبتسمًا : حسنًا.. حسنًا، كفاكِ خجلًا، لا أريد إجابة، كفاية لي النظر إليكِ

- نوران محاولةً تغيير مجرى الحديث : لمَ تلك المقابلة إذًا ؟

- وهو شاعرًا هو بالإحراج: .....

- نوران وضحكتها تصدر من بين شفتيها تهز كيانه : مَن الأن الغارق في خجله !

- لا.. لا، لا يوجد خجلٌ هنا، أنا ياسيدتي الجميلة طلبت منك المقابلة حتى أتحدث معكِ قليلًا خارج إطار العمل

- نوران والخجل بدأ أن ينقشع: حسنًا هيا حدثني بما تريده ؟!

- محدثًا نفسه : ومن أين أبدأ بالحديث، وكلماتي تخشى ألا تستطيع وصف جمالك.

- أين سرحت ؟

- لا شيء، فقط أود إخبارك بشيء مهم دون أن تقاطعينني

- تفضل، كُلي آذان صاغية

- اسمكِ "نوران"، اسم على مسمى؛ فمنذ أن قابلتك وقد أنارت حياتي، بل أنار قلبي من ظلمته، سعدتُ كثيرًا بتلك الصدفة التي بعثتك في حياتي..

- لماذا صمتّ؟ أكمل يا سيد روميو

-ضاحكًا : أتسخرين من حديثي !

- نوران مبتسمة : أبدًا.. أبدًا، فقط أريد أن أخبرك بأنك أيضًا اسم على مسمى، أنت "بدر" وتشبه القمر في ليلة اكتماله و...

- بدر وقلبه يرقص فرحًا: ها أكملي حديثك

- ويجب علينا الأن أن نصمت لأن الجمال الحقيقي قد وصل

نظر بدر في اتجاه ما تنظر إليه نوران فوجد أن النادل قد أحضر الطعام لهما، فضحك كثيرًا على برائتها وصفاء وجهها.

- بدأت أغار من الطعام حيث يحصل على أهمية أكثر مني في هذه المقابلة الأولى

- تضحك وهي ممسكة بالطعام: أعتذر، ولكن لا تقارن نفسك بالطعام حتى لا تخسر

ثم أكملا حديثهما الذي يشوبه الضحك الكثير وبعض الحديث عن العمل أيضًا، ولكن السعادة لا تدوم كثيرًا، فقد كانت هناك أعين جاءت بالصدفة السيئة إلى نفس المطعم حتى ترى علاقة حب صافية تنشأ، وتبدأ هي بالتخطيط لتدميرها.

*****

قد ثمل جسد موج فظل يتكور يمينًا ويسارًا على سريرها، متذكرة كل كلمة دارت في أحلامها عندما كانت في المشفى..

* ارجعي بالزمن وابحثي في نفس المكان الذي بدأت فيه الحكاية.*

- تحدث نفسها: ما معنى تلك الجملة؟ وماهي حكايتي التي ستبدأ؟

ما كل تلك الاستفهامات!! ولمَ أنا ؟

أأخبر والدي! ولكن لحظة، لمَ ذكر والدي الكتاب في المشفى؟

شغل عقلها الكثير من الأفكار والأماكن التي قد تأتي على بالها بعد تلك الجملة، ولم تجد سبيلًا لشيء. وفجأة بفعل الهواء القادم من شفتها، سقطت صورة كانت تسكن على مكتبها في هدوء، فقامت تغلق الشرفة وجلبت الصورة من على الأرض، وكادت تضعها على المكتب دون النظر فيها حتى، ولكن قلبها دق بشدة حتى نظرت فيها ووجدت السبيل لحيرتها أخيرًا.

قامت متسللة إلى غرفة والدها لأخذ مفاتيح سيارته لأنها تعلم إذا أخبرته لما يجري داخلها سيتهمها بالجنون، ومن ثم جلبت حقيبتها تاركةً البيت بهدوءٍ تام.

قامت بتشغيل السيارة ولكن صوت المكابح وهي تغادر المكان لفت انتباه هنا فنظرت من شرفتها خوفًا من أن يكون سارقًا ولكنها رأتها تهرب بعيدًا بسيارة والدهما..

*****

وصلت الإستاكوزة منهكة، فهي مازالت تحت أثر الغيبوبة التي دخلت فيها.. أشعلت الأنوار وقامت تجهز لنفسها كأسًا من الشاي الساخن آملةً أن تُذهب تلك الهواجس المسببة للصداع، وأمسكت بمدونة صغيرة في حقيبتها تسجل، فيها ما يدور في أيامها الروتينية المملة.

- بدأت تقرأ وتردد بصوت ضعيف: صباح ذلك اليوم قد بدأ بوالدتي تفتح النافذة.. ثم حوار سخيف مع هنا كالعادة.. سماح أبي لي بالإتيان هنا.. حزم أمتعتي وجلب الكتاب معي هنا.. قيلولة سريعة على الشط.. وذاك الكائن السخيف أو مايدعونه المنقذ.

بدأت هنا ضربات قلبها تتعالى

- كان اسمه ماذا!

أها كان يُدعى مالك.

قطع حديثها مع نفسها صوت طرقات الباب...

الفصل الخامس

مَن منا بلا ذكريات طفولية أليمة؟

من منا لا يحمل ذكريات في كل مكان قد ذهب إليه قديمًا، سواء أكانت سعيدة أم مُخزية؟!

الذكريات واقع، لا فرار منها. بالتخطي ممكن إعادة بناء حياة جديدة، ومن دون ذلك سنظل في جوفها لا نمتلك القدرة على النهوض والرجوع إلى الحياة الاعتيادية الروتينية المملة..
ذكريات الحب مؤثرة في كلا الحالتين، سواء كانت ذكريات ربيعية أو شتوية باكية حزينة.

المحب أكثر شيء يبرع فيه هو استرجاع الذكريات أينما ذهب، وفي أي وقت، ولأي سبب كان، لا يعتمد فقط على الفقدان حتى يتذكر بل من الممكن أن يكون من شدة حبه وتعلقه بالطرف الأخر يظل يتذكر ما حدث بينهما منذ اللحظة الأولى التي ابتسم أو سخر منهما القدر فيها..

- تقول إحدى صاحبة تلك الذكريات: أود أن آتي على بالك فقط، فهذه أكبر أمنياتي بل تكاد تكون الأمنية الوحيدة، الأولى والأخيرة.

- يقول حزينٌ آخر: ظننتكِ كالأم، تسامح ابنها على أخطائه.

- يقول هائم بالحب: قد مدَّتْ يديها في ظلمة سمائي لتخرج نجوم تضيء بها حياتي حتى الأن..

*****

في منزل الشاطئ الذي تتميز جدرانه بالطوب المزخرف الحجري، كما لو كان معبد من معابد الحضارة المصرية القديمة، فبالرغم من كونه يقبع في إحدى دول العالم الأول إلا وإنهم يُقدّرون الفن الفرعوني والنحت الراقي، وذلك بالإضافة إلى حديقته الخارجية وشرفته الواسعة المطلة على الأمواج كأنه قطعة قد سقطت من الجنة.

كانت موجٌ ممسكة بمدونتها على الأريكة تسترجع ما حدث في ذلك اليوم المشئوم وحين أشرفت على الانتهاء من قراءة ما حدث، تعلو دقات قلبها حتى ارتجف وانقبض حين سمعت طرقات الباب الخفيفة

- بصوت مرتعش : من بالخارج؟

لم يجبها أحد وما زالت الطرقات مستمرة

تملكتها روح الشجاعة وحثتها على النهوض والتمشي ببطئ نحو الباب، بالأخص أن الليل قد عم السماء وسكن المكان

- بصوت ثابت: من بالخارج ؟؟

- ....

نفذ صبرها في النهاية من عدم الرد وقامت بفتح الباب بقوة وبطريقة مفاجأة، وكأن الزمن قد قرر العودة لتلك الليلة التي فقدت فيها وعيها في الشارع وتكررت الأحداث..

فقدت وعيها

*****

شاهدت هنا خروج أختها الصغرى ليلًا بخطوات هادئة كما لو أنها ذاهبة لقتل فريستها أو للقاء حبيب لها والتخيل الثاني هو من استقر في عقلها وهبط إلى قلبها حتى انتشر في جسدها بالكامل.

بالرغم من كونها الأخت الكبرى الفائقة في جمالها مقارنة بموجٌ، ولكنه جمال اصطناعي ببعض مستحضرات التجميل والملابس القصيرة المكشوفة قليلًا، ذات الشعر الأشقر والعيون الهادئة السوداء كعيون الغزال، لم يكفها ذلك ولم تشعر منذ نعومة أظافرها بالرضا، ونفسها لم تكن بالنفس السوية أبدًا..

جلست على كرسي بغرفتها تحتضن وسادتها بشدة والقطرات المالحة أوشكت على النزول، بغض النظر عن الثقب الأسود في قلبها ألا إنها تشعر ببعض الآسى على حالها وعلى كم البغض الراقد داخلها، وظلت تتذكر وتزفر بشدة وكأنها ستفجر هذا العالم من شدة حنقها..

- مرحبًا جدتي

قالتا ذلك الأختان الجميلتان

- مرحبًا بكِ عزيزتي موجٌ، تعالي واجلسي بجواري، أما أنتِ هنا اذهبي واجلبي لي كأسًا من الماء البارد حتى أتناول دوائي

- موجٌ بصوت رقيق طفولي: سأذهب أنا جدتي لأحضره لكِ

- لا اجلسي أنتِ هنا سأتلاعب بخصلات شعرك الجميل وأختك ستذهب

هيا، لمَ لا زلتِ هنا!!

- هنا والحزن ظهر على تقاسيم وجهها فقد كانت تشتاق لجدتها كثيرًا وتود الجلوس معها: حسنًا جدتي أنا ذاهبة ..

كانت فتاة لم تتجاوز الثانية عشر عامًا وتحتويها البراءة كل الاحتواء ولكن قسوة العالم هي التي قد كَتبت لها غير ذلك..!

ذهبت لجلب الماء متمشية في الطرقات الواسعة ولكنها قديمة البناء بعض الشيء، ذات شقوق في أسقفها تدل على عراقة عمرها، حين وصلت إلى غرفة جدتها وجدت موجٌ تنام على فخذها وتتثاوب والجدة تتلاعب بخصلات شعرها شفقي اللون وتغني لها بهدوء: نامي يا حلوتي، نامي.. نامي يا ملاك، نامي.

لم تطرق حينئذٍ الباب وأردفت بالدخول فورًا مسرعة إلى جدتها في سرور ولهفة أن تغني لها كما تفعل مع أختها ولكن كان للجدة رأي ورغبة غير رغبتاها الطفولية

- لمَ كل تلك الهرولة!

اهدأي، فأختك تحاول النوم

- هنا بعينين بريئتين يكاد يخضع لهما أشر البشر: هل لي أن أنام بجاورها جدتي وتعبثين بخصلات شعري وتغنين لي!!

- لم تعط الجدة نفسها مهلة للتفكير: لا، حتى لا تزعجين عزيزتي.. وهيّا الآن اذهبي للعب مع والدك أو والدتك، هيّا

- هنا بصوت متهدجٍ: ولكن جدتي، أنا...

- انتهيتُ من حديثي

لم تتفوه بعدها بكلمة وخرجت مسرعة من الغرفة حيث أصابت كأس الماء ليسقط ويلقى مصرعه على الأرض يتفتت كقلبها المسكين.

لم تَكِن لموج أي حقد أو بغض من تلقاء نفسها؛ بل بسبب حب الناس لها وكأنها خُلقت من رحيق الملائكة وهي من نار الشياطين.

أفاقت من شرودها ومسحت بكفها تلك الدموع المتساقطة، فالبكاء لصافين الأرواح والقلوب فقط، فهو شيء طاهر لا يجب أن تدنسه هي، ثم اتجهت إلى غرفة أبيها.

*****

ظل يتأمل المكان وجمال بناءه، أشعل سيجار وظل ينفث فيها كل حيرته وتوتره تاركًا الدخان يملئ صدره ويتخلل ثقوب رئتيه حتى يصل لشقوق قلبه المنكسرة.. فمن السهل على المرء أن يأذي نفسه بنفسه عوضًا من تلَقيه الأذية من أحبائه.

- يقول فيلسوف أمريكي : I don’t like depending on people because people leave all the time .Because at the end of the day all you have is ..yourself and that has to be enough

من الواضح أن جميع الجنسيات والأديان تتفق في أن الاعتماد على البشر شيءٌ خاطئ، فكلنا مراحل متنقلة في حياة البعض، سواء أكنا مراحل مُطمئنة مريحة أو مراحل بغيضة كريهة مُسيئة لا تترك غير الظلام في النفوس..

انتهى من السيجار المشتعلة وشاح بنظره عليها متأملًا ملامحها الهادئة ولكنها تحوي على ما تشعر به من وحدة وقسوة العالم، كانت مستلقاه على الأريكة الخارجية أمام مدفأة الحائط المسدودة ويبتسم القدر لذلك الفراش المُلقى على جسدها المسكين، لم تكن هي يوسف عليه السلام حتى يكون هو لها امرأة العزيز ويفتن بها من النظرة الأولى متناسيًا حكم عقله قبل قلبه، مستغربًا أنه لم يرها في أول مرة كما يراها الأن!

ولكنها بالأكيد أهل العزيز الذين انتشلوا يوسف من غيابت الجُب والضياع والوحدة، فقد انتشلته بهدوئها الصامت من حزن كان يسبح، بل يغرق فيه. اقترب منها وظل يقارب حركة صدرها في الهبوط والصعود لإخراج النفس من أسفل أنفها الحاد الصغير الذي يعلوه عينان صغيرتان مغلقتان ولكنه يؤمن بأن أسفل ذلكما الجفنين تقبع أعين موّجية سيهيمُ فيها عما قريب..

انتفضت فجأة من سباتها ملتفتة حولها مستفهمة أين هي وماذا حدث !!

*****

تتجلى في الظهور فتاة ذات ستة أعوام ومن هيئتها يظهر لنا أنها مزيج هجين من الحضارات العربية و الأوروبية، فقد كانت بيضاء البشرة ذات أعين واسعة وجبهة عريضة بعض الشئ، وأنف مناسب لطول وجهها الدائري مع شفتين جذابتين برغم صغر سنها، تعلوهما عينان بنية اللون ولكنها تلمع ببريق جذاب ملفت، وشعر أشقر تتخلله خصلات بنية داكنة، لم تكن كثيرة الحديث بسبب عدم اختلاطها بالعامة وعدم التفات والديها لذلك العيب فيها فكل ما كان يشغلها الأعمال الاستثمارية وجني المال فقط، يتخيلون بذلك أنهما على أهبة الاستعداد لتهيئة مستقبل ابنتهما الوحيدة،

ولكن العمر قد مر حتى يأتي اليوم الذي يرتكب فيه الوالدان أكبر جرم في حياة أولادهم.

- لينا : غدًا هو يوم تخرجي من المرحلة الجامعية يا أبي

قالت هذا وهي مفعمة بالحيوية والسعادة تغمرها

- شاكر : مُباركٌ صغيرتي، سأشتري لكِ سيارة كهدية لكِ

- لينا والعبوس بدأ يتشكل على وجهها: ولكني لا أريد هدايا؛ بل أريدك أنت أبي لتحضر الاحتفال كباقي آباء زملائي بالجامعة

- شاكر ناظرًا في مستندات أمامه: مشغول جدًا عزيزتي، اذهبي إلى والدتك واطلبي منها ذلك

- ....

- شاكر ومازال ملتفتًا عنها: لا تعبسي، فأنا أحبك

قال هذه الكلمة تاركًا إياها تغرق في بحر حزنها، فالحب ليس مجرد كلمة تُقال، ومن الوالدين بالأخص

ظلت لينا قابعة في غرفتها منتظرة رجوع والدتها من اجتماع سيدات المجتمع الملل المقام كل جمعة في إحدى بيوت صديقاتها كبار السن والمال.

- مساء الخير أمي

قالت لينا هذه الجملة بلغة إنجليزية، فقد اعتادت على الحديث معها بتلك اللغة كما ترغب والدتها في ذلك

- چينيا: مساء الخير صغيرتي، هل هناك شيء ضروري لمجيئك غرفتي في وقت نومي ؟!

- لينا مترددة فهي تخشى الحديث مع والدتها في تلك الأمور التي من وجهة نظرها لا تليق بها: هل لي بطلب بسيط منك؟

- چينيا وهي تستلقي على سريرها: تحدثي أسرع، فأنا متعبة الليلة جدًا

- لينا بحنق: ولكنك كل ليلة متعبة يا أمي، وأنا لا أجلس معك أو أحاورك في موضوعات مهمة بحياتي مثلك كمثل الأمهات ..الأهم من هذا الأن أنني أودك الحضور غدًا في احتفال تخرجي من الجامعة

- ولمَ أنا!!

تفوهت چينيا بتلك الكلمات الفظة

- لينا : ماذا تقصدين ؟

أنتِ والدتي، ووالدي رفض الحضور

- چينيا بمنتهى قسوتها ولامبالاتها : لم أعني والدك بالحديث بل أقصد لمَ لا تأخذين ماري!

- لينا والغضب قد تملكها لا محالة وبصوت عالٍ: هل أنتِ جادة!! أتريدين مني أخذ مربيتي عوضًا عن والدايّ؟؟ ما هذه التراهات التي تتحدثي عنها

- تهذبي يا لينا وهيّا أخرجي من غرفتي الأن حتى أخذ راحتي من النوم

- ولكن يا أمي....

لم تجد انتباه من والدتها لأن الحقيقة أن چينيا قد خلدت للنوم فعلًا تاركةً إياهّا تسقط في بئر الخذلان مرة أخرى.

كان يتأملها في الاحتفال رجل خمسيني العمر يرتدي بذلة رمادية باهظة الثمن، مصففًا شعره للخلف، بالرغم من كبر سنه قليلًا إلا أنه يتمتع بنشاط وحيوية شبابية.. كان يحضر ذلك الاحتفال رغبةً لابنه الوحيد فهو يحبه كثيرًا ولكنه يحب ملذاته أكثر، وجدها تجلس خلف المسرح عابسة حزينة والدموع تتساقط على شهادة تخرجها ولم يجد معها شخص أخر فاستنبط أن والديها تجنبا رؤيتها برداء التخرج الأسود أو إنها انطوائية بلا أصدقاء ولا اهتمام..

ذاك الاهتمام المطلوب والمرغوب فيه من أيّ فتاة عشرينية في مثل عمرها، يقبع الحزن داخلها وبمجرد القليل، القليل فقط من الاهتمام سيملكها..

- أيمكنني مشاركة الحزن معك؟

قالها بلغة أجنبية يغلب عليها اللكنة العربية فأدركت أنه ذو أصل عربي

- لا داعي لذلك سيدي، أشكرك

- هل تتحدثين العربية؟

- قليلًا، فإن والدي عربي الأصل

- أظن أن والدك محظوظٌ جدًا لامتلاك تلك الجوهرة

- لا أظن ذلك

- حسنًا، أين هو؟ أريد أن ألقي التحية عليه

- هو الأن جالس بالطبع خلف مكتبه يعطي الكثير من الأوامر لموظفيه ويراقب حركة البورصة والأسهم ويجني المال..

بقولها ذلك لمعت عيناه، فهو الأن لن يستحوذ فقط على جمالها بل وعلى مالها.

- ما اسمك يا جميلة الحفلة كلها؟

- أنا لينا، وأنت ؟؟

- سُعدت بلقائك يا فتاة.. أنا أُدعى أمجد..

*****

دعيني أراكِ كما كنتِ دائمًا جميلة، وتريني كما كُنت بالسابق، دعي نبرات صوتك تخبط جدران قلبي كما تشاء ولا تمنعيها..

أخطأتُ في لحظة وأعترف، ولكني كلي ندم على رحيلك فرفقًا بي معذبتي، لن يعبر أحد شبكات عيني ليدخل داخلي من بعدك حتى لو أبيتي العودة.

الأمواج تهيج وتهدأ، والبراكين تثور وتخمد، والبشر يولدون ويموتون، والملائكة تصعد وتهبط، والمذنب يخطأ ويتوب، والله يعاقب ويغفر، فما لكِ لا تغيرين عادتك وتعودين؟؟

استفاق بدر من نومه فَزعًا؛ فقد كان يحلم بها وظلت تطوف في رأسه كما كان يتمنى أن تأتيه في منامه ولكن هيهات للأماني التي نظنها ستسعدنا ولا نعلم بأنها سبب هلاكنا.. قام من على سريره يلعن العالم من دونها، كارهًا الأشخاص الذين لا يحملون صفة من صفاتها، نافرًا من جميع بنات حواء غيرها.

في أول لقاء بينهما أخبرته بأن الأسود يجعله أشبه بالملك الأسود في لعبة الشطرنج أو أكثر شبهًا بالحبر الأسود الذي يُخط به أعظم المقولات في علم الغزل، فقد كانت عذبة اللسان تستطيع بكلمة واحدة أن تستميل قلب أي شخص وبابتسامة واحدة توقع به وبضحكة بسيطة تأتي به مهرولًا حافي القدمين إليها.. لم تكن معقدة، فقد كانت أشبه بالعسل المُستساغ في الفم وفي لينها لم يُر لها مثيل!

قام بارتداء قميصه الأسود الذي لا ينفك يرتديه وحذائه اللامع ولكنه يفقد لمعته في الأماكن التي لا تتواجد فيها، ولم يعد يهتم بتصفيف شعره كما في الأيام السابقة ولم ينس علبة سجائره التي يخرج فيها كل غضبه وحزنه ودموعه المُختزنة، ومفاتيح سيارته مكشوفة السقف حتى تدع الهواء يدخل لجميع أطرافه.

حين نزوله من بيته وارادته لتشغيل سيارته وجدها لا تعمل ولم يكلف نفسه بمعرفة السبب، أهو عيب في محركاته، أم عدم وجود بنزين بها، أم غير ذلك.. اكتفى فقط بركلها مرات عديدة وكأنه يركل الزمن على ما فعله به، فقرر التمشي قليلًا في إحدى الشوارع المجاورة حيث كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وكل البيوت قد أُغلقت على أصحابها.

كانت شوارع كاليفورنيا تتميز بنسقها الرائع، بعضها يكون على جانبي الشارع منازل تمتاز بوضع زهور أمامها والبعض الأخر من الشوارع كانت تكتفي فقط بجانب واحد من المنازل والجانب الأخر يوجد فيه أعمدة الإنارة ذات الضوء الأبيض والزهور متناثرة حوله تفيض براحة نفسية وبهجة، ولكنه لن يبتهج أبدًا مهما رأى غيرها؛ فقد كانت الأولى والأخيرة التي عبرت أحشائه وصولًا لقلبه في أقل من ثانية، تذكرها حين ذهابه للنادي الرياضي ورآها وهي ترتدي بنطالها الرياضي وسترة بأنصاف أكمام وتربط ذلك الشعر القصير ليصبح كقطعة حلوى بالسكر، ووجهها خالي من مساحيق التجميل ولا يوجد عليه سوى بضع قطرات عرقٍ،

دليل على ركضها لفترة طويلة للمحافظة على جسمها الذي لا يزيد في الأساس عن الخمسة والخمسين كيلوجرام.

- ما بكِ تزفرين كثيرًا هكذا؟

- ألا ترى هذا البنطال الرياضي الذي عانيت حتى أشتريه!

- لا لم ألحظه، أتعلمين لماذا ؟

- لماذا يا سيد بدر ؟

- لأن جمال الأميرة المُزهرة نوران قد غلب على أي شيء بالكون.

- أغلقت عينها خجلًا وتبدلت قطرات العرق إلى قطرات حمراء اللون غطت وجنتيها من كثرة خجلها، وبابتسامتها التي لم تستطع إخفائها قالت في هدوء تام: وهذا لأن الأمير بدر مُتيم ولهان

- لستُ متيمًا

- ماذا!

- أنا أغرق في بحر عيونك

- لا.. لا، كلام مبتذلٌ جدًا ولا يروقني

وظلت تضحك كثيرًا لشعوره بالإحراج فهو لا يجيد الحديث المعسول مع الفتيات

- دعيني أفعل أكثر شيئًا يسعدك

قال ذلك محاولًا إخراج نفسه من الإحراج

- حقًا؟؟

- بالطبع سيدتي، هيّا بنا إلى تناول الغداء في أشهى المطاعم

- تعلم، لم يستطع أحد أن يجذبني تجاهه هكذا

لفظت كلماتها الأخيرة وأسرعت نحو غرفة تبديل الملابس لتغيير ملابسها فورًا قبل رجوع بدر عن وعده لها، لم تستغرق نصف ساعة وظهرت بمظهر مختلف كليًا عما كانت عليه منذ دقائق، مرتدية تنورة يصل طولها لركبتيها وحذاء أرضي يظهر قصر طولها بجانبه، وقامت بحل شعرها من شريطته ليأخذ متسع كبير من التنفس على كتفيها ووضعت أحمر شفاه ومورد للوجنتين لتظهر وكأنها حورٌ عين وتجعل قلبه يتحطم قطعًا صغيرة من جمال مايراه.

- هيّا، أنا جاهزة

- بدر وعيونه معلقة بها: هيّا نتزوج

- صمتت "نوران" كثيرًا قبل إطلاق ضحكة كبيرة تنبه جميع المارين بأن هناك فتاة مجنونة تقف حولهم: ماذا تقول يا بدر ؟؟

- بدر غافلًا عمَ قاله: ماذا قلت!! أنا لم أتفوه بشيء، دعينا نتناول الطعام أفضل من ثرثرتك

- فعلًا دعنا نتناول طعامنا

ظلت تضحك حتى عادت لمنزلها، وهو لا ينفك يبتسم لضحكاتها..

كانت تلك الذكريات هي من تؤنس وحدته، فلم يكن الأمر عاديًا بالنسبة له ولكنه أصبح كذلك بعد ألف معركة في عقله، وألف كسر في قلبه، وألف دمعة من عينه، هكذا تم استنزاف حياته وكل مشاعره دفعةً واحدةً حتى يبدو بذلك الهدوء الماثل خارجيًا والبركان الثائر داخليًا.

*****

- أين أنا ؟

- لا تقلقي ودعيني أساعدك في الجلوس، أنتِ في بيتك وأنا مالك منقذ الشاطئ و...

- الكتاب

- قام مسرعًا يجلب الكتاب من على الطاولة : ها هو كتابك، فقد جئت عندما رأيت الأضواء مشتعلة في المنزل حتى أعطيه لمن يوجد منكم بالمنزل ولكنكِ فقدتِ الوعي عند رؤيتي..

- بصوت هادئ: لا؛ بل فقدت الوعي لرؤيتي إياه هو لا أنت

- مالك غير فاهم لما تقوله: حسنًا، حمدًا لله على سلامتك، أتودين مني أن أفعل لكِ شيئًا قبل مغادرتي؟

- لا تغادر

لم تنتبه موجٌ لما تقوله حقًا، فقد غطى الخوف قلبها عند احتضانها للكتاب

- قال مالك في قرارة نفسه: أود لو أبقى كل الدهر معكِ

- قطعت شروده : عذرًا، هل لي بكأس من الماء!

- بالطبع

اتجه إلى المطبخ لجلب الماء ولكنه سمع صوت بكاء شديد وعالٍ فسقطت الكأس من بين يده ليخرج متجهًا ناحية الصوت ليجد موج ليست في البيت والصوت اختفى وهناك من يطرق الباب بشدة حتى فزع لتلك الطرقات..

- من بالخارج ؟

ردد مالك ذلك السؤال، ولكن لم يستقبل إجابة وكأن هذا الباب يمنع ولوج الإجابات للداخل، فيتجه ناحية الباب ليفتحه وكله رعبٍ مما يحدث أو قد يحدث

- من أنتِ؟

- أنا؟؟

أنا هَنا مالكة هذا البيت، وأنا الأحق بتوجيه هذا السؤال لكَ..!

*****

كانت موج صاحبة البكاء والصرخات التي فزع لها مالك، بدون مقدمات ودون حدوث دوامات في الهواء تبتلع المرء وتنقله إلى أزمنة مختلفة كما نجدها في بعض الأفلام الأسطورية، رأت موجٌ نفسها تجلس على رمال الشاطئ في واجهتها البحر ومرتدية ثوبًا أبيض اللون غير الثوب الذي كانت ترتديه، وعلى رأسها شال داكن يغطي شعرها مع وجود بعض الخصلات خارجه، والكتاب قد فتح أمامها وهي لا تعلم ماذا يدور حولها وتشعر بأن كل جزء بها يؤلمها بشدة بدون سبب ولا تستطيع الصراخ معبرة عن الألم فقامت بإنزال بعض القطرات من عيونها والهواء قد تحكم بهذه القطرات لتطير على الكتاب وعلى صفحة به، وها هي أول الكلمات تُخط عليه من قطرات دموعها، فُزعت لما رأته..

- يا لله ماذا يحدث هنا؟ أحقًا ما رأيته وأنا صغيرة وكان قد تخيل لي أنها أوهام أو أصبتُ بالهلاوس التي ستجعل نهايتي على يديها؟!

وفجأة الكتاب مرة أخرى يغلق ويثب قفزًا ليقطن في أحضانها وقد تبدلت ملابسها مرة أخرى لتعود كما كانت عليه وهي غير مدركة ماذا يصيبها!

- أأنتِ بخير عزيزتي ؟

قالها حلمي مسرعًا إليها

- أبي!

- أخبريني ماذا حدث لكِ وما الذي فعله بكِ ذلك الأحمق؟ أخبريني ولا تخافي من شيء، فأنا معكِ

- أحمق!

ماذا جاء بكَ إلى هنا يا والدي؟ وكيف علمت من الأساس بخروجي من المنزل؟!

- بقلق شديد : حسنًا، دعينا نعود إلى الإستاكوزة فالشمس قد أوشكت على الظهور والمكان سيُعَم بالناس الأن

- حسنًا يا أبي، اسبقني إلى هناك وسأتبعك على الفور ولا تقلق عليّ فأنا بخير

وحين ابتعاد حلمي عنها، أسرعت إلى فتح الكتاب لتجد ما قد خُط فيه

(ليس من الخطأ أن نصدق بعض أقوال البشر، ولكن من الجُرم بأن نؤمن بأنها الحقيقة المطلقة.. سيولد من رحم الباطل الحق، ولكن بواسطة إظهار الصدق، غير ذلك سَيُدان الكل بالجريمة التي ستحدث.. مجبرة على التحري فمن عمق السراب ستنبثق الحقائق.. "أ.ل").

الفصل السادس

- لم تقل لي حتى الأن من أنت؟

كان مالك يقف غير قادر على النطق، فهو في منزل فتاة تقف أمامه وبصفته منقذ شاطئ فليس له أي حق بدخول المنزل، وحتى موج التي كان يرعاها طوال الليل ليست موجودة أيضًا، فماذا يقول!

- بصوت متردد: أنا منقذ هذا الشاطئ يا سيدتي

- بنبرة متكبرة : ورجل مثلك ماذا يفعل هنا غير كونه سارقًا!!

- لا، لستُ لصًا صدقيني، فقد كنت أعتني بفتاة تأتي إلى هذا المنزل...

- قاطعته موجٌ من خلف هنا: كان يعتني بي بالأمس

دارت هنا إلى الخلف لتجد موج ممسكة بكتابها وبصحة جيدة غير التي كانت بها بالأمس، ولا يشوب وجهها ذلك الاصفرار نتيجة إعيائها، فنزعت نظارتها الشمسية وأزاحت مالك حتى يبعد عن الباب لتدخل هي تاركةً مالك وموج ينظران لبعضهما في شرود واستغراب مما يحدث، وكانت عينا مالك تحاول الاستفهام عن تلك الأصوات التي سمعها

منذ قليل، وأعينها هي تخبره بمدى أسفها على قبح تصرف أختها معه..

- هل ستخبراني بما يجري هنا أم ستظلان صامتين هكذا ؟؟

فاق كل منهما من شروده وصمته والتفتا إليها ودخلا الإستاكوزة ليتحدثوا جميعًا، قص عليهما مالك ما حدث بالأمس مع موج وإغمائها، وبقائه بالقرب منها ليهتم بها فهي كانت في وقت تحتاج فيه للاهتمام أكثر من أي شيء فلم تكن على ما يرام، ومن ثم أكملت موج سبب مجيئها الإستاكوزة في الأساس وإنها كانت تبحث عن الكتاب في المكان الذي فقدته فيه، ما زالت تخبرهم بأنه مجرد كتاب لجدتها فهي أجبن من أن تخبرهم بما حدث خارجًا، أو منذ سنوات، فلن يصدقها أحدٌ البتة.

- موجٌ بحيرة : أين والدي ؟

- هنا بسخرية: كان يهرول إلى الشاطئ بحثًا عنكِ حين جئتُ أنا إلى هنا لأرى عشيقك هنا

- مالك بضيق: لستُ عشيقًا لأحد، وأرجوكِ سيدتي تجنبي إهانتي، أستأذنكما يجب أن أعود للعمل

- هنا مسرعة : لا لن تذهب من هنا قبل مجيء والدنا وتخبره بنفسك بما حدث وهو من سيُقيّم مدى صدقك

- موجٌ محاولة تهدئة الوضع : أرجوكِ هنا، اتركيه يعود لعمله وأنا سأخبر أبي بكل شيء

- هنا: لن يعود إلى مكان قبل عودة أبي، وإلا سأخبر مديره بالعمل بأنه يدخل إلى المنازل خلسةً ليلًا!

- بعصبية : مَن أنتِ حتى تهددينني بتلك الحماقات؟!

لفت انتباه هنا تلك النبرة التي يتحدث بها مالك وكيف له يحدثها بخشونة وقسوة وهي يلين لها كل رجال المدينة، ومثل الحكايات المعتادة تُعجب الفتيات بالفتية الشبيه بمالك، ولكن هنا قد أعجبها ذلك وليس لقسوته فقط..

دخل حلمي قاطعًا تفكير من كان يهيم في خياله، وعصبية من كان يستشيط غضبًا، وحيرة من كان يسبح في عالم آخر، وكان قد جلب معه دلوًا مكتوب عليه (benzene) ثم اتجه بخطوات مسرعة إلى المطبخ لإحضار إناءٍ كبير من الحديد أو ما شابه، يبدو أنه يود حرق شيء ما.!

*****

في غرفة نوم بفندق ما ومن الظاهر أنه فندق فخم وعظيم البناء كالعادة، وغالي الحجز، كانت غرفة من سرير واحد ولكنها واسعة كأنها كوخٌ صغير على طراز متطورٍ، كامل الأركان والأثاث، كانت تجلس على كرسي متحرك تكسوه

أقمشة ناعمة، من المفترض أنها تقرأ كتاب ما عن علم النفس ولكن يبدو أن الكتاب مملٌ مما جعلها تشرد بعيدًا عنه في ذكرياتٍ غير موازية لعالمها.

- والأن قد أتممنا عامًا كاملًا مع بعضنا البعض ولم تأخذني إلى العمل معك بعد، كما أنك لم تطلب يديّ حتى الأن من أبي!!

- كان حينها أمجد يرتشف قهوته في مقهى على طريق جبلي بعيدًا عن أعين معارفهم: ومن قال لكِ أنني لن آخذك للعمل معي؟

فأنا لن أطمئن عليكِ في عمل بعيدٍ عني، ولكني أود منك خدمة أو طلب بسيط لأجل حبيبك أمجد!

- لينا وهي عالمة كل العلم بمطالبه: كم المبلغ الذي تريده؟

- أمجد مُقبلًا يديها: لهذا السبب أنا أحبك، فأنتِ أكثر شخص يهتم بيّ وعلى علم بما أحبه، فقط أريد خمسين ألف دولار حتى أجدد مكتبي وأدفع مرتبات العاملين المُتأخرة عليهم.

- ولكن ماذا ستفعل بالباقي؟ فكل متطلباتك هذه لن تتكلف العشرين ألفَ دولارٍ وبالأخص أن جريدتك مازالت قليلة العاملين!

- أمجد وهو يحاول أن يجذب الجزء المُحطم بها: البعض الأخر عزيزتي سأهتم بنفسي به حتى أستطيع أن أهتم بكِ فلا

يوجد سوايّ من يفعل ذلك.. أخبريني كيف حال السيد شاكر والدك ؟

- مظهرة العبوس: لا أعلم عنه شيئًا، فهو مسافر منذ مدة، وأمي كعادتها بعيدة عن المنزل، ولهذا السبب أنا معكَ في كل الأوقات، فأنا لا أفضل الجلوس بمفردي في المنزل أتحدث مع جدرانه

- بخبث: لا تحزني عزيزتي، فأنا موجود فقط لإسعادك

كانت علاقة أمجد بلينا أشبه بعلاقة الكلب بقطعة العظم، هو يستمتع بإمساكها بفمه وهي تتألم ولكنها مجبرة على البقاء معه حتى لا تُلقى في القمامة بمفردها، وحال علاقتهما كحال باقي الوجود أجمع، تتغير سواء للأفضل أو للأبشع ولكن دائمًا بدايات الشيء هي الخادعة، فكما خدعها في بداية الأمر حتى يصل لقلبها ومالها وجسدها، خدعها أيضًا بجعلها تظن أنها من غيره لن تقدر على العيش والمواصلة!

بعد مرور أشهر تغير اهتمامه بها فبدأ في النقصان متحججًا بأنه بسبب العمل وتطوير، بجانب بيته الأصلي من يأخذه منها، وها قد حان وقت نزولها للعمل معه بالجريدة برغم من أن تخصصها بالجامعة لم تكن كلية إعلام أو آداب صحافية ولكنه وعدها بأن يوظفها عنده حتى تكون بجانبه دائمًا كنوع من الاهتمام الذي هو في الأصل مزيف من البداية، قبل دخولها للجريدة حذرها من لفت الأنظار تجاههما وأن تكون العلاقة بينهما رسمية جدًا حتى لا يقع في المشاكل مع ابنه

الذي يعمل في نفس الجريدة، فوافقت وقد مارست دورها بمهارةً أيضًا..

- قد وعدتني برحلة بعيدًا عن العمل والمدينة!

قالتها لينا وهي تحضر له العشاء في المنزل الصغير الذي أجره لهما أمجد ليكون عش الغرام لهما بعد مرور عامين وعدة أشهر على علاقتهما

- أمجد وهو يتصفح الأخبار: حسنًا سأختلق عذرًا في الجريدة وأعطيهم إجازة لأسبوع، ونسافر إلى المكان الذي تختارينه ولكن اعلمي أنا لن أدفع تكلفة هذه الرحلة فأنا الأن قيد احتياجٍ لكل قرش لتكبير أعمالي

- لينا محتارة: ولكن والدي بدأ يشك في حالي وسحبي للكثير من المال من بطاقتي الائتمانية!!

- أمجد غير مبالٍ : حسنًا، لا داعي للسفر إذًا

- ولكنني أحتاج للسفر فقد ضقتُ ذرعًا من الدور الذي ألعبه وأن كل ما بحياتي مخفيٌ ومستتر، وأنت زوجي حتى لو لم يكن ذلك رسميًا أو عرفيًا وأنه لا يوجد من يعترف بذلك غيري، فمن حقي الخروج معك والإفراج قليلًا عن روحي المسجونة

- بنبرة ساخرة وقاسية نوعًا ما: أنتِ من طلبت ذلك السجن فلا تلومينني!

سأنصحك بشيء أعلم أنه قد فات الأوان أن تعملي به "لا تقدمي شيئًا قبل أن تضمني حقك في المقابل، فالخير والعطاء فقط للأنبياء ونحن مجرد معشر بشر ملعونة"، وأنتِ عزيزتي قد قدمتِ كل شيء، ما احتجته وما لم احتجّه دون انتظار مقابل، فلا تطالبي بمقابلك الأن.

- لينا وقد تملكها السخط: ولكن بإمكاني الأن تصحيح كل شيء وأن أجعلك تُظِهر علاقتنا في النور.. أَلن تفعل ذلك إذا طلبته منك؟

- أمجد ضاحكًا: لا بالطبع، أَجُننتِ!! وماذا أفعل حيال زوجتي وابني الذي هو أغلى من كل شيء لديّ ؟

- ولكنني حبيبتك وهذا حقي، وإذ لم تفعل سأفعله أنا وعليّ تحمل عواقب أفعالي

- قطاعها ناهرًا لها: سأقتلك قبل أن تتفوهي بحرف يا لينا، أتفهمين؟

لن أدعك تخربين كل شيء قد بنيته لمجرد تفاهات تدور في عقل فتاة مراهقة بلهاء مثلك.. هل فُهِمَ حديثي ؟؟

- لينا شاعرةً بالخزي والخوف وتميل برأسها للأسفل : فهمت

رجعت منزلها باكيةً يتورم جفنيها من كثرة الدموع الساقطة عليهما لساعات متواصلة، ظلت تفكر ماذا فعلت في حياتها حتى يصيبها كل هذا الحزن ولا أحد يهتم بها، أصبحت

كالوردة المتساقط بتلاتها، لا هي ميتة حتى لا تشعر بحزنها ولا هي كاملة البتلات لتشعر بالرضا وجمال الدنيا.. أصبحت فاقدة الأمل في الحياة تود لو أن الزمن يعود بها ولا تقابل ذلك الرجل الجشع لكل شيء وتنخدع بكلماته المعسولة لكونها فقط تحتاج لسماعها وتحتاج لبعض الاهتمام الذي حُرمت منه في صغرها حتى لو كان اهتمامًا زائفًا، فكل ما هو في حياتها الأن زائف، حبها وعلاقاتها مع البشر، وأهلها، وعملها، حتى حديثها مع نفسها أصبح زائفًا.. فلمَ العيش!

*****

تجلس في مقهى بمفردها تشرب قهوتها السادة وكأنها تعزي نفسها على ما يحدث معها، في وقت غروب الشمس والمقهى شبه فارغ من الزبائن ولكن طرازه الكلاسيكي وموسيقاه المعزوفة فيه التي هي من الواضح معزوفة كلاسيكية لبيتهوفن العظيم أرغماها على تذكر أول مرة تشعر فيها بأنه هو، هو المراد..

هو الشق الثاني من روحها

فهي مؤمنة جدًا أن الأحباب عبارة عن روحٍ واحدةٍ وعند بدء الخلق انشقت إلى نصفين ووضع كل نصف في جسد مختلف وكل جسدٍ ينتظر ظروف القدر حتى يجتمع مع نصفه الأخر ويتحدا لتكتمل أنصاف أرواحهما.

كانت تراه في قميصه الأسود اللامع وسط ظلام الليل، وشعره المُصفف القصير الذي يضفي له الكثير من الجاذبية، مع دقات عقارب ساعته التي تنم عن بدء قصتهما معًا، تلك القصة التي بظنها سَتُخلد عبر الأيام والعصور كعنتر وعبلة وقيس وليلى وروميو وجوليت، فمن الممكن أن نُضيف في الحكايات الرومانسية اسما بدر وضيّ!!

ولكن الزمن لا يبتسم كثيرًا كما قلت، فتلك الضحكات المتعالية من شفتيه لم تكن لها أو لم تكن بسببها فهي لتلك القبيحة -في نظرها- الجالسة أمامه بشعرها القصير المُتعفن مع ثوبها الرديء وعيونها الاصطناعية، ومستحضرات التجميل تلك التي جعلتها أشبه بالمهرج في السيرك.. لو يعلم الرجال ماذا تفعل الغيرة بالنساء لمنعوا أنفسهم من النزول من رحم أمهاتهم لحماية الأرض من الدمار وتفشي جرائم القتل، وهذا ليس بتشبيه بلاغي أقسم لكم أيها السادة ولكنها الغيرة النسائية القاتلة.

*****

استعد حلمي لحرق شيء ما، فمن الممكن أن يحرق قلقه الزائد على موج أو سخط هنا الدائم أو ذاك الشخص الغريب معهم بالمنزل.. لا لن يحرق كل ذلك، فهو سيحرق الكتاب..

- أعطيني الكتاب هذا

- موجٌ مستغربة: ماذا!

- هنا ساحبةً الكتاب منها بشدة: كما سمعت أيتها البلهاء، فهو سيحرق هذا الكتاب الأحمق المسبب لنا كل تلك المتاعب

كاد حلمي أن يُلقي بالكتاب في الدلو ولكن سبق ذلك سقوطه على الأرض كمالك وهنا إثر صرخة مخيفة من موج، أطلقتها من فمها والذي هو ليس بفم فتاة رقيقة أبدًا، فتكاد تكون تحولت لشبح هائجٍ أو شيطان كان متسلسل وأخيرًا أُطلق سراحه فصرخ مهنئًا نفسه على الحرية، أو حبيب صرخ بأقوى ما عنده وهو يرى حبيبته تزفر بآخر أنفاسها وما سيرجعها له فقط تلك الصرخات المدوية التي يطلقها.. صرخت بشدة غير متحكمة بنفسها وكأن من صرخ هو الكتاب وليس هي..

سقط حلمي على الأرض مبتعدًا بسرعة عنها وهو يلقي لها الكتاب خوفًا من غضبها وكانت هنا تغلق أذنيها حتى لا تنزف دمًا بينما مالك صُدم لما يحدث غير مصدقًا أن الفتاة التي تخرج تلك الصرخة هي التي منذ سويعات كانت نائمة بهدوء تام تشبه الملائكة بل هي ملاك في الأساس!

- موجٌ وهي لم تعد لطبيعتها بعد: لا تفكر بلمسه، أتسمعني!

- هنا غاضبة: أجننتِ!! ما الذي فعلته بنا أيتها الممسوسة

- موجٌ بعد رجوعها للطبيعة: ماذا بكم؟ لمَ أنتم ملقون على الأرض هكذا؟

- مالك بضحكة ساخرة غاضبة: حقًا! ألا تعلمين!

- موجٌ والبراءة على وجهها: لا، ومن أين لي أن أعرف؟

لم تكن موج فعلًا على طبيعتها حين إطلاق تلك الصرخات ولم تتذكر ماذا حدث أيضًا، ولكن ما حدث على الشاطئ تذكرته، فلمَ لا تتذكر ما حدث منذ قليل!؟

- هل أنتَ بخير ؟

أردفت هنا بسؤال مالك عن حاله بعض نهوضهما من على الأرض

- مالك غير مهتم: نعم بخير

- ما رأيك في فنجان قهوة حتى يُذهِب ما سببته تلك الحمقاء بنا؟

- أشكرك، فأنا متعب وأريد بعض الراحة

قالها مالك وحقًا التعب قد بدأ يظهر على جسده قويّ البنيان

- هنا مصممة: فنجان من القهوة سيريحك، ثق بي

وجد مالك أنه لا مفر من رغبتها في القهوة وأنه أيضًا في أمس الحاجة إليه فهو لم ينم منذ أمس ويجب عليه معاودة

العمل، ذهب معها إلى المطبخ المكشوف يستمع إلى ثرثرتها الفارغة وهي تحضر القهوة بهدوء وبطءٍ كما لو أنها تطهي لحمًا بقريًا..

- منذ متى وأنت هنا؟ أنا لم أكن ألاحظك أبدًا

- مالك غير قادر على الدخول معها في ثرثرة: لم أكن قد وُظفت بعد أكيد

- هنا بمنتهى اللُطف: تفضل فنجانك

ولم تلاحظ يديها وهي تمتد إليه أو كانت تقصد أن توقعها على قميصه، فلا أحد قد علم بنيّتها حتى الأن

- مالك متألمًا من سخونة القهوة التي قد سُكبت على صدره: ما هذا الحظ السيء

- أعتذر جدًا، حقًا لم ألاحظ، آسفة يا مالك.. أرجوك أنزع قميصك حتى أنظفه لك بنفسي

- مالك وهو يشعر بالإحراج : لا، هذا لا يجوز يا سيدتي لا داعي

-وهي تقترب منه ببطء : بل هناك داعٍ لهذا، أنزعه أجعلني أنظفه لك بكل حب.. أقصد بكل عناية

لاحظ مالك اقتراب هنا المبالغ فيه منه وشعر بالإحراج الشديد فهو لا يقدر أن يبعدها عنه وفي نفس اللحظة قد اشمئز من اقتراب أي أحد له ولكن من الممكن إذا كان من يقترب

منه هكذا هي موج لما كان يشعر بالاشمئزاز، فقد تقترب هي ميل ويقترب هو عشرة..

- أرجوكِ سيدتي ليس هناك داعٍ لذلك، قالها مالك وهو يبتعد عنها بذوق وبدون إحراج لكليهما

- هنا وعيونها متعلقة بأعينه: حسنًا سأدعك الأن ولكن هل لي برقم هاتفك؟ ودعنا نكون صداقة بيننا حتى أعتذر عن أسلوبي السيء في أول مقابلتنا وعن سكب فنجان القهوة الأن

لم يجد مالك ما يتحجج به ليرفض، فقبل طلبها وأعطاها رقم هاتفه وذهب، لم يعلم بأنها قد وضعته بعقلها قبل قلبها وستأتي به لا محالة.

*****

على جانب آخر نجد موج قد عادت إلى الشاطئ ولكن في مكان بعيد عن أنظار الناس بعد تركها لوالدها وأختها في الإستاكوزة، جلست ناظرةً إلى البحر تناجيه سرًا وظهرت مرة أخرى تلك الهواجس أو الحقائق فهي ما زالت مستجدة غير عالمة بشيء بعد، فتحت الكتاب تتأمل الجمل التي خُطت بمفردها وكأن ماردًا من الجان هو من كتبها أو مثلًا بطلًا خارقًا تتميز سترته بالخفاء هو من خط تلك الجمل..

(ليس من الخطأ أن نصدق بعض أقوال البشر، ولكن من الجُرم بأن نؤمن بأنها الحقيقة المطلقة.. سيولد من رحم الباطل الحق، ولكن عن طريق إظهار الصدق غير ذلك سَيُدان الكل بالجريمة التي ستحدث.. مجبرة على التحري، فمن عمق السراب ستنبثق الحقائق..

" أ.ل")

ظلت تتمعن في التفكير حتى تبدلت ثيابها مرة أخرى إلى الثوب الأبيض والشال على رأسها واغمضت عينيها رغمًا عنها

- اشتقت لكِ كثيرًا صغيرتي

- أنتِ من جديد

- بالطبع أنا ومن سيكون هنا غيري!

- هل لديك إذًا تفسيرٌ لما يحدث؟

- ولمَ لا تبحثي أنتِ داخلك؟

- لمَ تفعلين بي ذلك!! فالناس سيظنون أني قد جُننت

- هم من جُنّوا من زمنٍ بعيد عزيزتي، عندما انساقوا خلف الواقع دون البحث عن الحقائق، هم من جُنّوا عندما تركوا أُناسًا تتحكم بهم لمجرد بضع كلمات توهموا أنهم يريدون

سماعها أو احتياجها في حياتهم، هم من جُنّوا عندما فقدوا إنسانيتهم

- حسنًا ما هذه الجمل المَخطوطة بالكتاب؟

- عزيزتي سأخبرك بشيء مهم في حكايتك، سيُكتب لكِ جملًا بعدد الأشخاص الذين على الحافة ويجب عليكِ إنقاذهم، أو ستكتب بعدد الحقائق المُستترة حولك ويجب عليكِ كشفها، وإن لم تفعلي ما بوسعك ستكونين شريكةً في الجرائم التي ستقام، سواء أكانت جرائم من طرف واحد أو من أطرافٍ عدة

- ولكن كيف عسايّ أن أعرف ماهي الحقائق المُستترة أو من هم الأشخاص الذين على الحافة!

- أستعيني بالأحرف المكتوبة في الكتاب وبأسماء الناس الذين قد أدخلهم القدر حياتك لتساعديهم، فكل منا عزيزتي لن يغادر تلك اللعنة الكُبرى التي لعن الله بها أبينا أدم من قديم الأزل حتى ينفذ ما خُلق له وإلا ستظل روحه معلقة بين السماء والأرض حتى وإن غادر جسمه أرضنا

- ومتى سينتهي هذا العذاب الذي قد أحل بي؟

- عندما تجف دموعك وتأبى السقوط أبدًا يا فتاة

- وهل ستعودين عندما انتهي من تلك المأساة؟!

- سأعود في أي وقت، وحتى وإن لم أعد فأنا أراكِ من أعلى يا عزيزتي لا تقلقي فأنت مختلفة عن باقي البشر وقد ميزك

الله بميزة الكتاب تلك كما ميز أُناس آخرين بميزات أخرى ويجب أن تستغلي تلك الميزة قبل فوات الأوان وحلول الندم

- سأشتاق إليكِ لحين لقائنا الآخر

- اهتمي بنفسكِ ولا تخبري أحدًا بشيء، فهو سرك أنتِ.. حافظي عليه

فتحت موج عينها وقد عادت ثيابها مرة أخرى كما كانت عليه وأغلق الكتاب وكأن السبيل الوحيد للدخول داخله أو مناجاة هواجسها هو ذلك الرداء الغريب والكتاب الأغرب..

عادت إلى الإستاكوزة لترى هل ما زالت أختها موجودة أم غادرت المكان وقد غادرته بالفعل منذ فترة، فقامت بجلب حقيبتها والعودة إلى المدينة. عند العودة ارتمت في حضن والدتها لدقائق ثم استأذنتها للراحة بغرفتها فدخلت وظلت تصنع قصاصات ورقٍ كثيرة وكأنها تفرغ حيرتها فيها..

تذكرت العمل في الجريدة وزملائها الذين قد اشتاقت إليهم وبالأخص لينا؛ فهي فتاة طيبة ولكن اهمال الأهل لها جعل منها وردة ذابلة، أمسكت بهاتفها تطلبها لتطمئن على أخبارها الشخصية قليلًا وعلى أخبار العمل خارج البلاد مع أمجد المتعجرف وكيفية تأقلمها معه.

- مرحبًا

- لينا وقد ظهر في نبرة صوتها الحنين لها كثيرًا: مرحبًا يا عزيزتي، قد اشتقت لسماع صوتكِ كثيرًا ولرؤيتك أكثر

- وأنا أيضًا قد اشتقت لكِ يا كوكب لُطف جريدتنا

- بابتسامة رقيقة: ما زلتِ وسوف تزالين الأقرب لي في هذه الحياة، طمئنيني على حالك!

- دعكِ مني أنا، أنا التي تود الاطمئنان عليكِ! هل أمورك الصحية بخير؟ وهل تلك الإنفلونزا اللعينة قد رحلت عنكِ؟ هل ذاك المتعجرف يعاملك بلطف أم حماقة كعادته؟

- لينا وقد كاد الحزن يُلحظ في نبرتها: أنا بخير لا تقلقي، أما بالنسبة للسيد أمجد فهو كعادته أحمق مع الكل ولكني شاغلةً وقتي بالعمل ولا مجال للراحة أو تركه يمارس عليّ حماقته اللعينة تلك

- موجٌ والضحك غلب عليها: أضحك كثيرًا عندما أراك تسخرين هكذا منه

- لينا: ....

- موجٌ في قلق: ما بكِ يا عزيزتي، لمَ تتأوهين؟!

- لينا بصوت أليم: لا أدري، ولكن بطني تؤلمني بشدة، سأحدثك لاحقًا إلى اللقاء

أغلقت لينا الهاتف مع موج وهي تشعر بألم شديد في البطن ورغبة حادة في التقيؤ فأسرعت إلى حمامها لعلها تستريح من هذا الشعور..

وبعد ساعة قد أقبل عليها أمجد وفمه يفوح برائحة كريهة تدل على شربه الخمر طوال الليل في إحدى الحانات

- أين كنتَ طوال هذا الوقت ؟

- كنت أستمتع قليلًا

- حسنًا تفضل أنظر إلى هذا

- أمجد غير قادر على الرؤية: ما هذا؟

- بفرحة مكتومة: فقط تأمل به جيدًا

- أمجد وقد بدأ الضيق يظهر عليه: أسرعي في حديثك وقولي ما هذا الشيء، أو دعيني أذهب للنوم

- بنبرة مُزجت بين الخوف والفرح: حسنًا يا عزيزي، سنصبح أسرةً كاملةً بعد عدة أشهر..

أنا حامل...

الفصل السابع

أكبر شرٍ بعد الظلم هو ألا يدفع الظالم ثمن ظلمه ومقته وشره، لكل فعل رد فعل ولكن رد فعل المظلوم الذي قد يتملك منه اليأس أشد جُرمًا على الظالم من رد فعل القانون عليه..

الخير والشر نفس الشعور، أو نفس الفعل، لا يقومان بأي نتيجة أو تأثير ما داما ساكنين هكذا، ولكن يبدأ تأثير كل منهما حين التقائهما بالكائن البشري ، هو الذي يتحكم بهم بالسلب أو الإيجاب ..

الحب شر حين يقع في نفوس الأوغاد، وخير حين ينتاب ذوي الأنفس السوية، وعديم النفع حين يكون في طرف واحد..

الحب عظيم حين تختاره وأعظم حين يختارك.

الليل يشرف والكائنات البحرية في سبات هادئ، والأمواج تأخذ قسطها من الراحة مثلهم والبحر يشملهم في أحضانه وكأنه الأم الحنون ..

لم يكن مالك يتمتع بالراحة مثلهم، لم تهدأ أمواج عقله ولا قلبه، لا ينفك يفكر في كل عبثٍ قائمٍ في حياته ، يحدث نفسه بين الحين والأخر

ماذا إذا أحبتني !!

ولكن إذا لم يحدث ذلك، لمَ قابلتها هي !

وماذا يجري إذا لم آخذ هذا الحب !

أجُننتُ ؟

هل أعجبت بها يا مالك !!

لا.. لا، ستظل في البحر بمفردك أنت والأمواج فقط !!
ولكنها موج، أيعقل ستصبح موج قلبي !!

حسنًا.. حسنًا دعنا لا نسبق الأمور

ولكن لمَ لا نسبقها !

أحبك

لا، بل هو اشتياق لها فقط بمنظرها الهادئ النائم

ولكنها مختلفة

تذكريني بالشمس، تضئ حياتنا ولكن قربها خطر علينا..

ألم يخبرك قلبك باشتياقي لهدوء وجهك !!

كانت موجة هادئة ..

كان وجهها ملائكي جدًا لدرجة تبعث الاطمئنان لمن يراها

غامضة وبها شيء مخيف..

صلتها بالكتاب مريبة ولكنها مزيج رائع، فمن الصعب الأن أن تجد فتاة في مقتبل العمر مثلها تتعلق بكتب قديمة كهذه..

بحثتُ عنكِ كثيرًا وعندما أقابلك تبتعدي أنتِ، أنه حظي الأحمق

هل أجوب غيوم مخيلتك الأن يا ترى !

ماذا لو تآلفت قلوبنا معًا !!

ماذا لو كنا نفس ذات الروح المنقسمة !

سيبتسم لي القدر أنا أؤمن بذلك

أعلم أنني لم ولن أخطر ببالك ، ولكنك شغلتي كل بالي ..

ماذا لو أشدك من يديك اللطيفتين إلى بحر خيالي !

مجرد التفكير بكِ يجعلني مقبل على تلك الحياة البائسة لكونك فيها فقط ..

أهذا هو الحب من نظرة واحدة !! أعتقد لا، فالحب يولد بولادتنا، ونظل نهيم في حياتنا لا ندري من سنقابل ومن سيأخذ منا قلوبنا، ومن سيكون على صواب، ومن على خطأ،

ومن سيموت قبل لقاء نصفه الأخر ! ولكنني أشعر بقرب نصفي الثاني مني

ظل مالك هكذا ما يقارب الساعة ، وحده على الشاطئ يتطلع إلى السماء ولهدوء البحر ، ويبثه كل ما في مكنونه، ويبعث في داخله الحيرة المستمرة القاتلة .. الحيرة أشبه بالسكين إذا اهتممت بها للحد الزائد تجرحك بحدتها, وإذا اهملتها بمفردها تظل في الدرج ساكنة هادئة .

كان "حسن" في الغرفة يجهز أمتعته وحقائبه للمغادرة فقد حان وقت إجازته للعودة للديار , كان يشعر بمزيج مزعج من المشاعر

الأول : فرحته بالعودة لمسقط رأسه، ورؤية من هواها قلبه

الثاني : ترك صديقه بمفرده ، وأنه سيشتاق إليه للغاية

دخل "مالك" عليه الغرفة بشروده الكبير، واستغرب حين رآه يجهز أغراضه، وكانت لتنزل دموعه اشتياقًا له ولكنه كتمها حتى لا يزعجه

- مالك : ولمَ السرعة !

- حسن: ليست سرعة يا صديقي، ولكن حتى أنتهي من زيارة أهلي سريعًا، والعودة إليك

- متأثرًا: سأشتاق لطعامك السيء، ولسذاجتك المرحة

- حسن بضحكات خفيفة : لن أشتاق إليك يا رجل فسأذهب إلى كل المأكولات الطيبة ولن يكون هناك الوقت للتفكير بك

- مالك بحنان : حسنًا يا رجل، دعني أعانقك للمرة الأولى، ولكن لا تعتاد مني على ذلك فأنا فقط الان ذو مشاعر لطيفة، ولكن سأعود محتالًا كما أنا

لم يجبه حسن وكأنه كان ينتظر ذاك الطلب منه حتى يقبع في أحضانه ويبكي لمغادرته، فحسن رقيق المشاعر ومحب لأصدقائه كثيرًا، وليس لأصدقائه فقط بل ولحبيبة الروح أيضًا فهي أحسنت اختيار من يحبها بصدق وأمان.

بعد عناق كبير ووداع حزين ترك حسن الغرفة لمالك يهيم فيها على راحته بمفرده، وذهب هو ليهيم في عالم أخر، ولكن القدر قد أحبه لدرجة تجعل مدونته اليومية تسقط من حقيبته لتختبئ تحت الكرسي الذي يجلس عليه مالك معظم الأوقات .

- ما هذا الكتاب! يا إلهي.. ما قصتي مع الكتب !

قالها مالك مبتسمًا وهو يتذكر موج أيضًا فَوَد لو كان لها هذا الكتاب ولكن عند تصفحه اكتشف أنه لحسن، حينها سقطت وريقة صغيرة ذات لوني وردي مزخرفة مكتوب فيها بعض الأسطر..

" عزيزتي ملك ..

وددتُ لو أستطيع قول تلك العبارات بذاتي دون الحاجة إلى تلك الورقة وهذا القلم ليكونا وسيطًا بيننا.

عندما رأيتك للمرة الأولى في حديقة منزلكم شب بيننا شجار صغير لأنك رميتني بالكرة خاصتك، ولم أعلم أن بذلك الشجار ستملكين قلبي وذاتي كلها ! حينها عندما نهرتكِ لم تبكين بل وقفتي أمامي بكل روح جميلة وجريئة وقلتِ لي : أنت في منزلنا لذلك لن أرد لك القسوة، ولكن سأهديك هذه الوردة اعتذارًا عن اصطدام كرتي بك...

تركتني حينها وذهبتي تكملي لعبك مع أصدقائك، وكنتِ حينها طفلة في ربيعها السادس عشر.. اعتقد ، كنت أكبرك قليلًا ولكن لتحملي مسئولية عائلتي لم أتمتع باللعب مثلك، كنتِ وما زلتِ الفتاة المدللة لمالك ولكنه لا يعلم بمدى تعلقي بكِ وخوفي عليكِ .. هو صديقي لذلك سأحترمه ولن أحادثك بما أشعره ناحيتكِ ولكنني لن أستطيع كتم مشاعري النبيلة تجاهك، فسأكتبها هنا حتى يحين وقتها وأعطيها لكِ في يوم زفافنا. منذ أن رأيتك وشعرت بأنك النصف الأخر الذي سيكملني ويكمل كل شيء ناقص في حياتي، ستكونين الحلم لي الذي سأسعى له جاهدًا لتحقيقه، أعلم بأنك تبادلينني المشاعر ذاتها حين رأيت أعينك تبتعد عند رؤيتي خوفًا من أن تبوح بكل أسرارك ولكن لا تخافي فأسرارك جزء بسيطٌ بما قد تبوح به عيني لكِ..

هذا مرسال آخر أكتبه لكِ ولا أبعثه بالطبع، ولكن أعلمي بأنك تلك الفتاة التي جعلت أعيني تُعمى عن كل إناث الأرض يا مالكة قلبي وآسرته. "

قرأ مالك المرسال وقلبه يبتسم للشعور فقط بأن صديقه يحب ويفرح ولكنه احتار، أينزعج بأن تلك الفتاة هي أخته الصغرى أم يستبشر خيرًا بأنه سيهديها لصديق عمره الذي يعلم خلقه جيدًا !

قام بمسك هاتفه واتصل به

- مالك: مرحبًا يا مُتيم

- حسن: ....

- مالك بخبث : أود منك الذهاب إلى عائلتي للاطمئنان عليهم يا صديقي ..

- بارتباك قليلًا : حقًا !!

- مالك وهو يشعر بقلب صديقه يدق فرحًا: حقًا يا صديقي، أودك أيضًا بأن تعلم أنني موجود متى شئت للتحدث معي في أي شيء

- حسن: بالطبع

بعد حديثهما الذي دام حتى الفجر أغلق مالك الهاتف وشعر بشيء يختلج صدره، شيء غريب وكأن شخص ما يستنجد به في ظلماته ولكنه لا يستطيع تبين من هو!

قطع اختناقه رنين هاتفه ولم يتوقع أن تحدث تلك المكالمة بهذه السرعة

- مالك: صباح الخير أنسة هنا..

*****

في أجواء أخرى غير الفرحة التي كانت تعم حسن والغرابة التي تملكت مالك كان الخوف والحزن يتملك لينا..

- لينا والخوف والفرح يمتزج في صوتها : أنا حامل

- أمجد لم يستطع السيطرة على أعصابه فقام بشدها من شعرها بقوة: ماذا قلتِ ؟؟

- لينا تتوجع فقط : .آآه..... آه..

- ألم أخبرك بتناول تلك الحبوب التي جلبتها لكِ !!!

- حسنًا اتركني، ودعنا نتحدث قليلًا

- ليس هناك مجالٌ للحديث، يجب أن تقومي بإجهاضه

- لينا وهي تحاول إنقاذ نفسها من تحت يديه : لن أجهضه فهو ابني

- أمجد بعد أن تركها : إن لم تفعلي ذلك سأدعك بمفردك كما كنتِ حزينة قبل رؤيتي لك ولذلك الوجه البائس .. فأنا لن أدعك تهدمين كل ما أخطط له

- بتوسل : أرجوك لا تتركني فأنت تعلم كم أحبك وأود أن أبقي بجوارك فلا يوجد أحد معي، و...

- أمجد مقاطعًا لها : انتهى حديثي معكِ الأن وسأعود إلى المدينة بمفردي، وإن لم تفعلي ما أمرتكِ به سأتركك للأبد، ولن تعودي للعمل أو حياتي مرة أخرى

- لينا في خوف من فقدانه : حسنًا لا تذهب وتتركني هنا بمفردي

لم يجيبها حيث كان قد خرج من الغرفة مغلقًا الباب خلفه بقوة، جلست لينا على الأرض تبكي ولا تدري ما عساها تفعل!

أتترك حبيبها أو من تظنه ذلك ؟؟ أم ترتكب خطأ أفدح بقتل صغيرها الذي مازال يتكون داخلها ؟؟

أنا من فعلتُ ذلك في نفسي

لماذا لم يحبني كما أحببته ؟!

هل كما قالت لي والدتي من قبل إن الحب قاتل !

ظننتُ أن بإمكاني تغيير الواقع، وأن حياتي ستصبح أحلى من حياة والداي اللذان لا يهمهما سوى العمل والمال

لو كنتِ تحبينني لما كنت وقعت في فخ "أمجد" يا أمي

كان يكفيني منكِ حضنً..

كنت أنتظر منكَ احتواءً..

الحب قاتل.. الحب قاتل.. الحب قاتل

ظلت لينا تردد تلك الكلمات وتبكي بشدة وبصوت مكتومٍ ولكن لم يجرأ قلبها حتى الأن على التفكير في قتل جنينها، فهي إن كانت قد ارتكبت خطأ الوقوع في حب ذاك البغيض فلن ترتكب خطأ في قتل روحها حتى لو تطلب الأمر فعل أي شيء..

غفوت قليلًا وهي مستلقية على أرضية الغرفة حتى أفاقت على دقات باب غرفتها فقامت مستندة على الجدران لترى من يدق تلك الدقات الخفيفة المتتالية ولا يريد أن يجيبها .!

فتحت الباب ولم ترى أي شخص في الرواق ، ظلت تتلفت يمينًا ويسارًا ولكن لا يوجد أي شخصٍ بالفعل، وكأن هناك شبحًا هو من كان يدق على بابها حتى جاءت تغلق الباب

وجدت ظرفًا صغيرًا أسفل قدميها ، فتحته بهدوء وجسدها ينهمر تعبًا ووجدت رسالة صغيرة تُركت فيه مما جعل قلبها يدق بالخوف ..

"الحب زائفٌ ، الغيب سيؤلم .."

*****

لا تخف عند اجتماع الهلاوس لديك، فهي إما تود إخبارك برسالة محددة، أو تود انتشالك من العبث الحادث..

رأت نفسها في بقعة مظلمة من بِقاع الأرض، تتمرجح الأفكار بداخلها لا تقوى على مقاومتها، على يمينها مخلوقات سوداء طويلة يشوبها السواد ذات أعين حمراء، وأسنان ناصعة البياض، وحادة كأسنان القرش، وعلى يسارها طريق مظلم ، حاولت الهرب والجري سريعًا في اتجاه الطريق، ولكن فجأة الطريق تكور والتف حول نفسه ليغير البقعة التي كانت فيها لتصبح أرضًا خضراءً واسعة فارغة وتتغير ثيابها من الرداء الأبيض والشال الداكن إلى ثوبٍ سماوي اللون دون أكمام وحذاء صيفي أبيض، وتغير شعرها من اللون الأحمر الشفقي إلى الرمادي المحترق , فتدور كثيرًا في المكان لتستعلم أين هي ولكن تذهب شرقًا فتجد نفسها غربًا وتذهب شمالًا فتجد ذاتها في الجنوب ..

تتكاثر الأصوات حولها ، تأتي من كل مكان حتى تستطيع أخيرًا تبين واحد منهم وتبدأ بمحادثته

- ألم تشتاقي لي ؟

- من أنت إذًا !!

- رفيقك ..

- لا رفاق لي من صغري

- كنتُ لكِ رفيقة ولكنك خسرتني

- أقول لكِ لا رفاق لي سوى أختي

- ولمَ لا أكون أنا هي وهي أنا !

- لستِ هنا

- لستُ هي لأنها كريهة وبغيضة

- لا، هي ليست كذلك

- هي لا تحبك

- أنا أحبها

- ستعلم أنكِ حصلتِ على حبيبها !

- أنا لم أحصل على أحد

- هو حصل عليكِ

- لم ولن يحصل عليّ أحد لأنني نقمة في حياة الكل

- اقتليهم !

- أقتل !!

ثم أختفى ذاك الصوت ليأتي صوتٌ آخر يحل محله ويزيد جنونها

- تقتلين من ؟

- لستُ أنا من يقتل

- لا تقتلي، ستُقتلي

- لمَ؟ ومِن مَن ؟

- ستعلمين

- لا أحد يستحق

- يستحقون

- من أنت؟

- داخلك..

- أين جدتي ؟

- هل أحببته ؟

- من ؟

- من يحمي الشاطيء

- مالك !!

ثم تتغير الأجواء تمامًا وتتبدل لتظهر هي مرة أخرى على الشاطئ بثوبها الزهري وشعرها الأحمر الشفقي في وقت الغروب ويظهر هو آتٍ من بعيد

- أريد قلبك

- لن أقبل

- لمَ ؟ لقد سحرتني من النظرة الأولى

- وسحرت أنتَ أختي

- تكرهك

- سأظل أكرر أني أحبها

- دعينا نتركهم

- والكتاب ؟ والرسالة ؟

- نحن أهم

- هل تحبني ؟

- أهيم في ساحة جمالك

وفجأة يبدأ مالك في النزيف حين مدت يداها له، بدأ ينزف حتى تكونت بركة من دمائه واختفى فجأة.. ابتعدت عنه لترى المكان يتبدل بها مرة أخرى وينقلب رأسًا على عقب لتأتي في زمن قديم عندما كانت جدتها في مثل عمرها وتقف

مع شابٍ وسيم بعض الشيء يُخيل إليها أنه حبيبها أو ما شابه ، كانت يداه تمتد لها ليعطيها شيئًا قائلًا لها..

- حافظي عليه في السرداب

- ما هذا الشيء ؟

- باعث الحقائق من سرابها ..

- سأشتاق إليك

- لن أعود..

- سأتذكرك في كل حين

- حافظي عليه وعلى من سيحصل

- سأحفظكما داخل قلبي

ونظر كل منها لموج في نظرة تدل على اعتذارهما لها ولما يحدث لها، وعادت الأماكن لتتبدل ثانيةً وتظهر في مكان مهجور تفوح منه رائحة كريهة وكأنها رائحة جثة متعفنة

- روحٌ جديدة ستُزهق

- من هي؟

- حاولي الحفاظ عليها

- سأتضرر!

- ومن المحتمل أن تموتي حفاظًا عليها ..

- ولماذا أموت أنا وهي لا ؟

- مهمتك فالحياة ستكون انتهت أما هي فلا

- كيف أعرفها ؟

- منكِ

- كيف !!

- وهل أنتِ عادية !! معكِ الكتاب

- ولكن أعيني تمتنع عن البكاء حاليًا

- ستبكين ..

- كيف ؟

- بالخبر

- خبر ماذا ؟ أرجوك لا تقول لي ألغاز وتجعلني أهيم في أفكاري المجنونة تلك

- لو كنتِ عديمة تلك الأفكار المجنونة لما كنتِ الأن هنا ..

انتهى نقاشها مع الهواجس المجنونة تلك لتفيق وتجد نفسها في غرفتها والكتاب بجوارها وكل شيء بات طبيعيًا ولكن الشيء الوحيد الذي لم يكن طبيعيًا كانت هي، كانت موجٌ..

*****

في شرق المدينة كانت تقع شركة من أكبر شركات إدارة الأعمال، ذات ثلاث طوابق واسعة حيث تشغل زيادة عن المئة فدان، تتميز بلونها الرمادي حتى في أثاثها وجدرانها الداخلية وكان رمزها مربع يستوطن مربع مما يدل على أن الشركة المربع الخارجي بينما الوطن هو المربع الداخلي الذي يضم العملاء والموظفين وهو رمز يشبع غريزة مالكه الجشعة للمال

السكرتيرة تقرع الباب

- المدير: تفضلي بالدخول روز

- هناك شخص بالخارج يطلب مقابلتك سيدي

- هل لديه موعد سابق بالحضور ؟

- بالحقيقة لا

- حسنًا لن أقابله

- ولكنه مصمم على الدخول زاعمًا بأنه لديه عمل مهم لسيادتك

- هل يظهر على هيئته العمل الجاد ؟

- أعتقد ذلك سيدي، فهو حسن المظهر

- حسنًا دعيه يدخل

قامت "روز" بدعوة الزائر للدخول

- أهلًا بك

- مرحبًا بك يا سيد شاكر، معك أمجد

*****

عادت إلى منزلها مكسورة القلب والخاطر، لم تكن على دراية أهي المذنبة أم من !

تجلدها نفسها، ويعذبها وسواسها، وتبكي روحها دمًا لا دموعًا ، قد ابتسمت لها الحياة يومًا وخدعتها دهرًا، قد أحبت وشغفت بالحب ولكن لمجرد الاهتمام لا للحب .. وما أسوأ أن تحب فقط لاحتياجك للمشاعر الرخيصة المُباعة!

كانت تحلم بسير هادئ مع حبيبها تحت ضوء الليل الخافت مُمسكةً بيديه الدافئتين اللتان تنمان على دفئ قلبه وحبه الصادق لها .. لم يكن العمر عائق لحبها له، ولا يكون العمر عائق لدى الكل ولكن التوازن يجب أن يحدث في العلاقات ..

من يقرأ تلك الكلمات بالكاد يشعر بحال صاحبها ما بالك بصاحبها!!

كانت حائرة في بيتها فهي لم تشعر ذات مرة -ولو بالخطأ- أن هذا المكان منزلها أو كنفها، لا تشعر بالانتماء لمكان

تخلوه المشاعر والحب والاهتمام والمشاركة ، فلا يشوب ذاك المكان سوى الجشع والأنانية وحب الذات بشكل بشع .

ظلت تهاتفه كثيرًا ولكن دون جدوى ، لا يوجد رد على الهاتف، ولا رد بداخلها يطمئنها بأنه سيعود ، هي تحتاج للاطمئنان فقط الأن لا تحتاج للحب الزائف أو غير ذلك.

*****

في مكان مظلم إلى حد ما على ضفاف بحيرة في المدينة كانت تصطف سيارة سوداء ذات ماركة مشهورة على ما أظن ـ فأنا لستُ جيدة في ماركات السيارات ـ وخلفها يقف صاحبها وهو رجل في نهاية الخمسين ذي شعر أسود تتخلله بعض الخصلات البيضاء التي تدل على مدى خبرته وتجاربه بالحياة، يتصاعد من أنفه دخان السيجار المشتعل فيشوب الهواء النقي المحيط به ومن المعلوم أن أبخرة التبغ علامة غضب من كثرة الانتظار، فطالما هو يدخن وينظر بساعة يده كثيرًا كل دقيقة والأخرى؛ فهو ينتظر شخصًا ما أو حدوث شيء ما كانفجار مبنى أو قتل أحد أعدائه كما نرى في الأفلام الهوليودية العظيمة وفي نهاية المطاف ينتهي الأمر بالرجل الغامض بإطفاء السيجار بقدمه حين يلقيها على الأرض، ومن ثم يصعد سيارته ويفر هاربًا من ذلك المكان الغامض ..! ولكن هذا لم يحدث هنا للأسف ..

حين إقدام ذاك الرجل الغامض على إشعال سيجار للمرة الثالثة على التوالي لفت نظره ضوء سيارة قادمة من بعيد، فأيقن أنه من يقف وقتًا طويلًا في انتظاره ، ترجل الاخر مبتعدًا عن سيارته وتقدم ليقف أمام الغامض ..

- موعدنا قد بدأ من نصف ساعة

- تعلم كان يجب أن أخفي بعض الأشياء من المكتب يا صديقي فنحن سنقوم بمشاركة أهم رجل أعمال في البلدة فيجب أن نكون على أتم الاستعداد..

- هيا صافحني يا رجل فقد اشتقت لك

قد ظهر أنهما ليسا مجرد شريكي عملٍ واحدٍ؛ بل أصدقاء منذ القدم , فقد ربطت بينهما علاقة صداقة قديمة، وهي من أدت للعمل مع بعضهما البعض ولكن أي نوع من العمل !!

- كيف حالك يا أمجد؟ و ما هو حال صغيري بدر!

- بكل خير يا صديقي، هو مازال متأثرًا قليلًا من تلك الحادثة القديمة ولكنه سيتعافى، أنا موقنٌ من ذلك

- بابتسامة خبث وسخرية من الغامض: وكيف حالك مع صغيرتك!!

- أمجد بأسى : حامل ..

- الغامض بضحكة سخرية : مباركٌ عليك يا أخي

- هل تمزح الأن !! فهي هدمت كل شيء بحملها هذا

- يا رجل لا تقل هذا، فمن الممكن أن تقلب كل شيء في صالحك

- وكيف لي فعل هذا !؟

- الغامض : تزوجها رسميًا لتحصل على كل شيء واللعنة على شاكر وعلى عزة زوجتك يا رجل

- أمجد وقد أظهرت تقاسيم وجهه أنه بفكر بالأمر : ولكن بدر!! أنت تعلم أنني أحبه، ولا أستطيع أن أجرحه مرة أخرى

- بدر سيعود ولكن المال لا !

- ولكن سأفعل هذا بعد انتهاء صفقتي مع شاكر فهو اقتنع بعض الشيء بالعمل، وسيبدأ في تمويله، وأنا بعد هجر لينا لم يعد لديّ الكثير من المال، ويجب تعويض الخسارة

- الغامض وهو يضحك ضحكات الأشرار، كالجوكر وأمثاله: تحب أن تستولى على كل شيء.. ولكن أحذر فلا يوجد مجرم لم تُكتشف بعد كل جرائمه

- من يحاول أن يكشفنا سنقتله يا عزيزي

- أنت تعلم أنني لا أقتل، أنا فقط أدبر الخطط والأن أعمل على الحصول على شيء عظيم سيمنع أحدًا من كشفنا ولكنه يحتاج الكثير من التفكير ..

- أمجد يقهقه : دعنا من تلك الأجواء المظلمة وهيّا نذهب للمقهى المُفضل لنا لتناول قهوتنا السادة عزاءً على غرائز أبوتنا الضائعة

انتهى الرجلان من حديثهما، وذهبا بالفعل إلى مقهى خشبي اللون صغير إلى حد ما على قمة تل، لا يذهب لهناك سوى المسافرون أو الأحباء الذين يتخفون من أنظار الحاقدين، يشوبهما كل الاشمئزاز والغموض..

*****

ستدور الأحداث سريعًا في فترة وجيزة لنرى أمامنا مشهد التقاء أمجد بصديقه الغامض، وثالثهما، كانا في انتظار حضور رجل الأعمال المعروف شاكر في نفس المكان الغامض على ضفاف بحيرة ما وتحاوطهما سياراتهما الفاخرة، يتحدثا في أمور العمل الذي يشوبه بعض الأجزاء غير المشروعة ولكنهما صمتا حين وجدا الهواء يتغير بشكل مرعب، والرياح تهب من كل الجهات، ليست رياح بل هي غُبرٌ زُرق ومن حولهما أوراق تتطاير ليظهر من خلفها كائن متوسط الطول يغطي ملامحه أقمشة غريبة ..

وبعد دقائق انكشف ذاك الكائن وتعالت صوت طلقات النار لتهدئ الأجواء مرة أخرى، ولا يشوب السماء سوى بواقي الغبار الأزرق ولا يلطخ الأرض سوى الدم ..

*****

تفتح باب غرفتها لتستكين بها من ضوضاء العالم وعبثه، وفي طريقها إلى السرير نظرت على أرضية غرفتها لتجد قطرات دم تلوثها، ومن ثم رفعت رأسها فتجد المرآة توضح لها الأمر..

وجدت موجٌ نفسها ملطخة بالدماء من قمة رأسها حتى أنامل قدمها فسقطت فاقدةً الوعي..

الفصل الثامن

قد يؤلمك خداع شخص ما لك ..

قد يؤلمك الكذب من قِبل من حولك..

قد يؤلمك تردد الظلم كثيرًا في مجتمعك ..

ولكن أسوأ ما قد يشعر به المرء ويؤلمه هو خداع نفسه له ، هو كذب ذاته عليه ، هو ظلمه لنفسه، أو ظلم نفسه له ..

النفس محيرة، تشك في كل صغيرة وكبيرة في الوجود، النفس هي من تأذن لكل المشاعر بالدخول .. قد تبدو كلماتي غير مُفسرة للبعض، وغير معقولة للبعض الأخر، النفس هي المتحكمة بك سواء شئت أم أبيت ..

الأحلام واقع مخبأ، الأحلام هي من نأذن نحن لها بالإتيان لتكون عالمًا مُخففًا علينا من ظلام هذا الكون، ولكن منها من يكون موجات مؤذية لا مُهدئة، ومنها من يكون ترددات صوتية من العقل الباطن تنبهنا للحقيقة الموجودة، ونادرًا ما تكون رسائل مستقبلية عما سيحدث، وذلك طبقًا لأبحاث أطباء في جميع أنحاء العالم على ما يُسمون ذوي الأمراض العقلية ..

تلوث فراش الأرض من تلك القطرات المتساقطة من جسمها وهي مغشية عليها ولا وجود لمن يطرق عليها الباب أو من يشتم رائحة الدم.. أفاقت من إغمائها بعد بضع دقائق لتفزع مرة أخرى من المنظر الماثل أمامها وهو الدم أو بركة الدم المتكونة حولها، فتتمالك أعصابها وتهدأ داخليًا لتقوم من مكانها وتحضر ملابس من خزانتها وتخرج بهدوء من غرفتها على أنامل أقدامها ذاهبةً إلى الحمام الذي يقع في نهاية رواق المنزل.

تجلس في حوض استحمامها والماء الدافئ يغمرها مشوبًا بالدم القليل الذي يغطي جسدها الرقيق ولكنه كان يزينه فتظهر كالزهرة الحمراء، لم يشم أحدٌ رائحة الدم التي يشمئز لها أي أنف لأن من يلمس جسدها يتحول لشيء عَطِرٍ مهما كان.. كانت فعلًا كالزهرة الحمراء كشكل ورائحة فكانت تبتسم قليلًا عندما تشم رائحة الدم حولها ولكنها تحاول استرجاع ما حدث وما الذي جعلها تدمي هكذا!

تغمض عينها المتعبة الهالكة وتترك جسمها يطفو على سطح الماء وكأنها تتحكم بكل شيء على وجه الأرض فهي ليست ممسوسة أو ما شابه بل كانت مُختارة أو لديها صفاءً ذهنيًا يجعلها تمتلك كل شيء عندما تكون بداخلها لا في العالم الخارجي..

-قُصي عليّ ماذا حدث !

-من يحافظ يتضرر..

-من ؟

-لا أعلم ..

-لمَ تبكين ؟ ولمَ أعينك حزينة هكذا!.

-خُدعت

-مِمن ؟

-أقرب الأقربين..

-ليس خطؤك

-خطئي، لأنني جعلت نفسي تُكذب كل شيء كانت تحتار في أمره وذلك لأنني لم أكن أريد أن أصدق أنهم من الممكن أن يقوموا بخداعي هكذا!

-ارحمي نفسك ولا تجلديها بالندم

-الندم عقاب للذات المخدوعة حتى لا تصدق البشر، البشر ملعونة حتى أن تقوم الساعة

-ونحن؟

-نحن المخدوعون في زحام اللعنة، فاللعنة أنواع كثيرة ومنها الخداع ونحن ملعونون بالخداع، أن نُخدع لا نَخدع..

-ولكننا من المؤكد أننا آذينا أشخاصًا

-نحن من الممكن أما أنتِ لا..

-ولمَ أشعر بالندم أحيانًا ولا أدري ما السبب ؟

-أخبرتك.. الندم عقاب للذات المخدوعة

-لم يخدعني أحد..

-مخدوعة من الكل وإن لم يكن ذلك لما كنتِ مالكة الكتاب

-ما هذا الدم إذًا!

-دم الخداع

-لمَ أنتِ غير واضحة معي؟

-لن يُسمح لي بالوضوح أكثر من ذلك

-ولكنني حزينة

-لمَ تقولين ذلك!؟

-لا أعلم، فكل شيء زائف حولي

-وأنتِ ضوء الحقيقة يا صغيرتي

-والكتاب!

-حافظي عليه للنهاية فهناك من كان يترصده وستعلمين اسمه في النهاية

-أنصحيني؟

-الذات لعنة، إن قادتك هلكتك وإن ملكتها ستصابين بالتعاسة

-وما الحل؟

-خير الأمور الوسط

وتذكري الخداع من أقرب الأقربين، الخداع من أقرب الأقربين .

أفاقت موج بشهقة كبيرة وكأنها كانت تلفظ آخر أنفاسها وفجأة رُدَت لها الروح مرة أخرى، فقامت من حوض استحمامها كالزهرة البيضاء بعد أن كانت حمراء، تلف جسدها بمنشفة قصيرة لتظهر مفاتن جسمها من أسفلها، وشعرها الأحمر الشفقي يقطر الماء على ظهرها الناعم وكأنها من حوريات العالم العلوي .. وكالعادة تشعر بصداع مؤلم بعد كل نقاش تدوره بداخلها.

*****

انتهت الإجازة منذ أيام والكل عاد إلى الجريدة هائمًا فيما حدث في الأسبوعين الماضيين أو فيما جاء على باله حينئذٍ، رتابة مملة في الأيام فكلهم يشعرون بشيء خفي يبث في أرواحهم الكلل والتمزق الداخلي ..

- موجٌ: أَلم تروا لينا هذا الأسبوع؟

- بدر : لم تأتِ منذ انتهاء الإجازة

- موجٌ: لمَ لا نسأل عنها السيد أمجد؟

- بدر: لن يجيبك

- موجٌ مستفهمة: لمَ ؟؟

- بدر محرجًا : لأنه مشغول في عمل خارج الجريدة وسيقول لكِ هل أنا ولي أمرها كما قال لي

- موجٌ: ولكنها منذ أن كانت معه في الرحلة لم تأتِ ولم تحادثني سوى مرة واحدة!!

- بدر :!!

- موجٌ : من الأكيد أنه ضايقها بشيء ومن الممكن أن يكون قد أقالها ..

- بدر: ولمَ يقيلها وهو في كثير من الأوقات يحتاجها بشكل خاص في مكتبه ؟

- موجٌ : هناك شيء غامض

- بدر: لا تعبثي مع والدي حتى لا يغضب عليك يا موج فهو...

- موجٌ : هو ماذا ؟

- بدر: لا تعبثي معه فقط

- موج: أنت أيضًا تخفي شيئًا!

- بدر: لا أخفي شيئًا

قاطع حديثهما كالعادة ظهور ذات الشعر الأسود المُسترسل.. ضيّ

- ضيّ : يخفي ماذا ؟

- موجٌ: يخفي شيئًا عن والده

- انتفضت ضيّ بداخلها: لا تتدخلي فيما لا يعنيكِ أيتها الحمقاء

- موجٌ: لن أدخل معكِ في نقاشات معدومة الفائدة ولكن أعلم يا بدر أنني سأتحقق من الأمر لصديقتي وخوفي عليها من عبث السيد أمجد

- ضيّ: ليس خوفًا عليكِ بالمرة ولكن احذري من العبث معه يا موجٌ..

تركتهما موجٌ والأفكار العديدة تدور برأسها وحيرتها من حديثهما الغامض حول أمجد، فهو رجل سيء بعض الشيء ولكن ليس بهذا السوء الذي يتحدثان عنه، كما كانت تظن ذلك..

طرقت باب مكتبه طرقات خفيفة ثم دخلت ولكنها لم تجد أحدًا ثم خطر ببالها ولكن ...

*****

جالسة في غرفتها لا تغادرها، مستلقية على السرير تستمع لسمفونية هادئة وتهيم في سقف غرفتها لا تفكر بشيء سوى في صغيرها الذي لا تعلم ما سيكون مصيره حتى الأن!..

أمسكت بهاتفها ودون سبب معين جاء في خاطرها قامت بمهاتفتها

- لينا: كيف حالك ؟

- موجٌ: منزعجة قليلًا مما يدور معك ولا أعلمه!

- لينا: أود مقابلتك إذًا لأخبرك بشيء هام

- موجٌ: حسنًا بعد ساعة سأقابلك في المقهى وسأرسل لكِ العنوان في رسالة نصية

- لينا: سأوافيكِ في الميعاد..

أغلقت الهاتف وقامت تبدل ملابسها الواسعة لترتدي ملابس أوسع فهي الملابس التي تحتاجها حتى لا يلاحظ من في البيت بتغيير في جسدها لحين إخبارهم بالأمر أو التخلص من الجنين، كما يدور في خاطرها..

بعد ساعة بالضبط أقبلت موجٌ إلى المقهى لترى فتاة من ظهرها تربط شعرها لتجعله كقطعة دائرية وتجلس بمفردها عكس كل من في المكان فأيقنت أنها لينا .

- موجٌ: اشتقتُ إليك كثيرًا

قالتها وهي تأتي من خلفها ولم تَر بعد عينيها المنتفختين اللتين تدلان على نزول سيول أدمعٍ منها

- لينا: اشتقتُ لكِ أكثر

- موجٌ: ماذا حل بكِ ؟

- لينا: أنه الأمر الذي طلبتك له

- موجٌ: كلي آذان صاغية ولكن دعيني أطلب لكِ عصير البرتقال الذي تفضليه

- لينا والحزن مكبكبٌ عليها: حسنًا

بعد نصف ساعة مرت عليهما في صدمة من الأحاديث المُقالة وعلى موج بالأخص وهي تفتح فاها بين الفينة والأخرى متعجبة ومصدومة مما تقصه عليها لينا، فقد حكت لها حكايتها مع أمجد منذ حفلة تخرجها فيما يقرب الثلاث أعوامٍ تقريبًا حتى اللحظة التي تجلس فيها معها الأن..

-موجٌ: لا أدري ماذا أقول لكِ ولكنك ارتكبت أبشع جُرمٍ أنك لم تبوحي بما تشعريه تجاه أمجد لأحد من والديك، أعلم أنكِ

ولدتي في بلدٍ أوروبية وأننا نعيش هنا دون وجود التزامات لبعض العلاقات ولكن والدك عربي الأصل ونحن العرب لا نسمح بحدوث تجاوز في العلاقات هكذا ولكن الذنب الرئيسي هي والدتك التي لم تكن عونًا لكِ يومًا

- لينا: أطلب عونك يا موج فأنا في حيرة كبيرة

- موجٌ: لا وجود للحيرة فستُحل كل الأمور لا تقلقي ولكن الأن يجب أن أجد لكِ مكانًا بعيدًا عن معرفة أمجد به؛ حتى أضمن أنه لن يأذيكِ أنتِ ومن في رحمك

- لينا: سأخشى أن أجلس بمفردي في مكان بعيد

- موجٌ: لا تقلقي فسيكون البحر صديقك ومؤنسك كما هو لي دائمًا

- قامت موجٌ بمهاتفته قائلةً: مرحبًا، أود مساعدتك يا مالك.

*****

في نهاية اليوم عادت موجٌ للمنزل منهمكة ومتعبة للغاية فقد كان يوم مليء بالصدمات المؤلمة ولكن حين فتح باب المنزل وجدت أختها ووالدتها يدوران في المنزل وكأن شبحًا يجري خلفهما

-موجٌ: ما بكما أنتما الأخرتان؟

-هنا: وهل أنتِ تهتمين لما يدور في المنزل أو لأحد هنا ؟!

-موجٌ : ماذا يجري يا أمي ؟

-فريدة: والدك مختفي منذ أيام وهاتفه مغلق ولا ندري أين هو

-موجٌ: من المؤكد أنه عند أحد من أصدقائه أو أي مكان

-فريدة: وهل سيكون عند أصدقائه عدة أيام دون إخبارنا!!

-هنا: لحظة أمي! من الممكن أن يكون قد ذهب إلى الإستاكوزة يستجم هناك كعادته، سأذهب لهناك أستعلم عن الأمر

-موجٌ: لا ليس هناك

-هنا: وكيف علمتِ ؟

-موجٌ: حدثتُ مالك منذ قليل ولم يخبرني بأن هناك أحد بالإستاكوزة

-هنا وقد استشاط قلبها غيرةً: ولمَ تهاتفيه ؟ !

-موجٌ: أمرٌ طبيعي، فهو صديقٌ لي

-هنا: هل لكِ أن تبتعدي عنه!!

-موجٌ: ولمَ أبتعد! لا لن أبتعد عنه

-هنا: ستبتعدين وإلا...

-فريدة غاضبة عليهما: أصمتا، نحن الأن قلقون على أبيكما وأنتما تتحدثان في تراهات فارغة!

صمتوا جميعًا حين سمعوا رنين الهاتف يرن في أجواء البيت بأكمله ..

-سأرد أنا على الهاتف

تطوعت حينها موج بالرد على المكالمة الآتية علّ وعسى تجد مرادهن

-مرحبًا، نعم هذا منزل السيد حلمي

- .....

-ماذا تقول!!!

- .....

-لاااا، أبييي

تعالت الصرخات والعويل من موجٌ لمجيء خبر وفاة والدها في حادث سيارة مؤلم حيث وجدت الشرطة السيارة ملقاة في بحيرة وهو قد فارق الحياة غرقًا محبوسًا داخل السيارة لم يستطع النفاذ خارجها..

فقدت فريدة وعيها حين سماع الخبر وظلت هنا بالقرب منها تحاول إفاقتها وهرولت موجٌ إلى غرفتها باكيةً وكأن أعينها كانت تنتظر خبرًا مؤلمًا كهذا حتى تفيض بما في مخزونها من دموع، وبمجرد دخولها للغرفة تبدلت لترتدي الثوب الأبيض والشال الداكن وتتغير الغرفة وأثاثها إلى مكان مظلم تشوبه أبخرة زرقاء .

لم تستطع الوقوف بعد ذلك الخبر فجلست مكانها تبكي غير مصدرة أي صوت فقد كان العويل بداخلها حيث كانت تتمزق إربًا لما حدث فقد كان حلمي لها ليس مجرد أبٍ! بل كان الأخ والصديق والحنون واللين لقلبها والحامي لها من صدمات الأخرين، وفقدانه يمثل فقدان كل شيء جيد بالحياة..

في جلوسها انتبهت أن الكتاب بجوارها منتظرًا منها أن تفتحه ولكنها لم تكن في ذلك المزاج لتفتح الكتاب وتنثر عليه قطرات الدمع لتكتشف شيئًا جديدًا، ولكن الكتاب كان له رأي آخر.. فقد فتح نفسه بنفسه وجلس على ساقيها أسفل وجهها لتنزل الدموع رغمًا عنها فيه وتخط كلمات جديدة وتظهر حيرة جديدة وغموض أكثر، فخطت الجملة الآتية ..

" من يحافظ يتضرر، من أَثم قد دفع جزاء إثمه، ولكن الشر ما زال يجوب المنطقة"..

*****

في الشركة ذات رمز المربع داخل المربع كان مديرها يجلس على الكرسي يقلب في بعض الأوراق التي أمامه والتي من بينها أوراق عمل أمجد التي تركها له منذ آخر مقابلة حين أغواه بمكاسب المشروع وغفل عن كيفية إقامة المشروع والذي من ورائه أو السبب الرئيسي له هو أعمال غير مشروعة إجرامية..

عند قراءة بعض الأوراق وجد ظرف صغير بجوار الملفات، غريب لم يكن ظرفًا عاديًا فقام بفتحه ووجد ورقة صغيرة تتربع فيه مكتوب فيها

(لا تنخدع، فأحيانًا يكون المجد خلفه القذارة..)

أغلق الورقة وطلب السكرتيرة

-من أتى بذلك الظرف هنا ؟

-لا أعلم، فلم يدخل أحد المكتب منذ مغادرتك أمس

-أمتأكدة ؟

-بالطبع سيدي وأمامك كاميرات الممرات بإمكانك مراجعتها وستتأكد من صحة كلامي..

-حسنًا، اطلبي لي فنجان القهوة وأغلقي الباب خلفك

-كما تأمر سيد شاكر

تركت روز المكتب وتاركةً شاكر أيضًا محتارًا يفكر في تلك الجملة مرارًا ويفكر في معناها وقام بمراجعة كاميرات المراقبة من على حاسوبه النقال ورأى بالفعل شبح مر من خلف الموظفين ودخل المكتب خلسةً وترك الظرف، لم يستطع تبين ملامحه فقد كان متخفي برداء غريب يخفي كل تفاصيل جسمه.. ظل حائرًا في مكتبه حتى أنه نسي أمر الأوراق والأعمال وأخذ حقيبته وترك المكتب عائدًا المنزل...

*****

تعالت الأصوات المُعزية لعائلة حلمي وارتفعت صورته ذات الشارة السوداء على جانبها على جدران المنزل حتى تسمح لكل عين تراها بالبكاء والنحيب عليه. لم تستقبل موجٌ أيًا من الزائرين لهم فهي غير مستوعبة ما جرى لوالدها وما يحدث في المنزل من مراسم الوفاة والتعازي فقد كان آخر مشهد مشابه لتلك الأجواء هو وفاة جدتها منذ أكثر من عشرة أعوام، ولكنها حينها كانت صغيرة ولكن الأن هو والدها لا جدتها، هو أمانها ومأواها في كل لحظة وكل مكان، ظلت تتذكر مواقفه معها حين كان يحميها من بطش هنا حينًا وحينًا آخر كان يدللها في سريرها حينما كانت تأبى الذهاب للمدرسة.. تذكرت تلك اللحظات التي أهداها فيها مقصوصات صغيرة رائعة وقال لها احتفظي بها وتمتعي

بقراءة كل جملة عندما أفارق أرضك يا صغيرتي وأصعد للسماء.

قامت بجلب صندوقها الصغير المحتفظة فيه بتلك المقصوصات الورقية وفتحت واحدة تلو الأخرى تقرأها وتدمع وتبتسم في نفس الوقت

-انظري للسماء ستجدينني أبتسم وأشاور بيدي لكِ لنفعل تحيتنا الخاصة بنا

-أنتِ أجمل من ضوء الشمس نهارًا وألطف من لمعان القمر ليلًا

-أسميتكِ موجٌ لتكوني هائجة على من يغضبك وهادئة لأحبائك

-ابتسمي لأبتسم

-أعذريني ..

-لن أغارك أبدًا يا صغيرتي

-لا تتركي دميتك الوردية لأختك هنا لأنها ستلطخ وجهها بمستحضرات تجميلها

-أحبك

-أعلم أنكِ المُختارة..

استوقفتها أخر مقصوصة قرأتها

"أعلم أنكِ المُختارة "..

-فقالت محدثة نفسها: ماذا كان يقصد أبي بذلك؟ أكان على علمٍ بالكتاب! أم فقط يقول هكذا ليلطف حياتي كما أعتدت؟ !

قطع حديثها المعتاد مع نفسها رنين هاتفها فتنظر على المتصل لتجد اسم مالك يزين شاشة الهاتف لتبتسم رغمًا عنها وتجيبه

مرحبًا مالك

غير قادرة على الخروج صدقني

ألن تستطيع الحديث في الهاتف!!

حسنًا سأوافيك في الميعاد

إلى اللقاء

أغلقت الهاتف ولكن قلبها لم يُغلق، ومناسك السعادة قد بدأت تُقام بقلبها مستعدة للقائه، لا تعلم ما هذا الشعور ولكنه بالتأكيد شعور جميل أن تجد من يخاف على حزنك، من يتألم لألمك، من يهتم بتفاصيل، من يحبك لروحك، غير مشروط أن يكون الحب غراميًا بل من الأجمل أن يكون حبًا روحيًا..

*****

ترك مالك الشاطئ وكل ما فيه ليذهب لرؤيتها ولو استطاع أن يفعل غير ذلك لفعل، فسعادته وراحته مشروطة بسعادتها وراحتها حتى ولو لم تسمح الظروف بشيء يُخلق بينهما ولكنه لن يمنع حدوث حكايتهما في الحياة، على الأقل سيجد بعض الذكريات التي ستنتاب عقله وذاكرته فيبتسم لها حين يتقدم به السن ويجلس على كرسيه لا يفعل شيئًا سوى مراقبة أحفاده الصغار يلتفون حوله ويلعبون وضحكاتهم البريئة تتعالى من حوله..

جاء وقت المقابلة فقد كان منتظرها أسفل منزلها لتخرج من البيت زهرة سوداء اللون نظرًا لملابسها السوداء ووجها الذابل ولكن هذا لم يقلل من جمالها بل زاده جمالًا وحنينًا، أخذ بيديها ليركبها سيارة أجرة قد أوقفها ليذهبا إلى حديقة هادئة إرضاءً لطلبها..

-طلبت مقابلتي

-لأطمئن عليكِ

-كان بإمكانك الاطمئنان في الهاتف

-وأفوت فرصة لقاء تلك الأعين!!

-شعرت بالخجل وأجابته وهي تنظر للأسفل: لمَ أنا ؟

-لا تسأليني بل اسألي ذاك الشيء النابض في يسار صدري..

-أنت المتحكم به

-هو المتحكم بيّ

-تخدعني

-أذوب حبًا وحقيقة

-أصدقك، فأنتَ صديقي أليس ذلك!!

-لوح بيده قائلًا: وتحت طوعك مولاتي

-ابتسمت برقةٍ: أشكرك على كل مافعلته معي وتصديقك لي

-أراكِ الحقيقة

-أراكَ العون

-لا تجعلي الحزن يتخلل روحك

-لا وجود للحزن وأنتَ هنا

-لا تقلقي فسيكون كل شيء على ما يرام

-ولكن أختي؟

-ستتفهم الأمر، أعدك

-إن لم تتفهم؟!

-سأنفذ ما تمليه عليّ فأنا على يقينٍ بنضجك

-كيف حال لينا؟

-على مايرام، وأشعر أنها قد امتزجت بالبحر هي وجنينها

-أرجو ألا تغفل عنها

-أخبرتك أن كل شيء سيكون على ما يرام

-أصدقك ولكنها المرة الأولى التي أصدق فيها رجلًا غير أبي

-إنها أرواحنا المتلاقية لا أكثر ولا أقل

-لم يكن هناك قبلك

-كان هناك قبلك ولكن لا ولن يوجد بعدك..

-الحامي سيتضرر

-في خدمتك مولاتي

ظل الروحان يتحدثان في تناغم وانسجام وكأنهما معزوفة متناسقة تحت أضواء الليل الخافتة أمام بحرٍ هادئ لا يشوب الأجواء شيئًا ليعكر صفوهما ..

*****

بعد مرور ثلاث ليالٍ، كان أمجد في مكتبه ليلًا يفتش بين أوراقه وخزنته على أوراق هامة له ولأعماله غير المشروعة فكما قال مُسبقًا أنه يود التخلص منها حتى يستطيع إكمال ما بدأ به مع شاكر ولا يتم كشفه وكشف ألاعيبه القذرة، ولكنه وجد أعلى خزنته ورقةً صغيرةً كُتب عليها

(قد نفذ وقتك يا أبله..)

لم يستطيع التفكير كثيرًا فيما قرأه حيث دخل عليه ذلك الشخص..

-ماذا جاء بك إلى هنا ؟

-لأصحح جُرمك ..

-لا.. لا، ليس لي أي جرائمٍ

-قد نفذ وقتك ونفذ صبري

خرج ذاك الشخص مسرعًا بعد أن ترك تلك الرصاصة مقتحمة منتصف رأس أمجد ..

الفصل التاسع

الخداع مرحلة في حياة الأشخاص، إما أن تكون مرحلة مؤقتة أو دائمة..

المرحلة المؤقتة وهي في الغالب يكون مفروضًا على الشخص أن يخوضها، فهي إما للحماية أو الانتقام ..

أما المرحلة الدائمة فهي تنبع من أساس تكوين روح الشخص المخادع، فهو يتنفس خداع، حينئذٍ، ولا ينفك يخدع روحه ومن حوله، وهذا لا سبب أو مبرر له سوى خللٌ نفسي..

أتفق الكثيرون أن الخداع والكذب مشروط لدى الكل، الكل يخدع ولكن بنسب متفاوتة

- فكما قال فريدريش نيتشه : المُنحطّون في حاجة إلى الكذب.. إنه إحدى شروط بقائهم.

- ألبير كامو : المخادع ذئب يبكي تحت أقدام الراعي.

- مثل فرنسي : الرأس الممشوط يخفي أقداما قبيحة

وغير أقوال هؤلاء الحكماء أو الفلاسفة هناك تقبع أقوالنا الخاصة بداخلنا، بداخل قوقعة فلسفتنا الخاصة في الحياة التي تنتج عن مواقف شخصية أو تجارب من الأخرين ..

الخداع يحيط بنا، فإما تكون كاشفه أو ساتره..!

في مساء السادس من أكتوبر تمام الساعة العاشرة

كانت الرائحة تفوح من المكان ، رائحة أشبه برائحة جرو متعفن تحاوطه جيوش الذباب من كل مكان ، لا هي قادرة على لمسه ولا تستطيع الابتعاد عن تلك الرائحة المميزة والجاذبة بالنسبة لها .

الرصاصة مخترقة منتصف الجبهة كما وكأنها كرة قد سُجلت في مرمى المنافس بمهارة رائعة من المهاجم..

ينزف الدم ليغطي الرأس بالكامل، وتتوسع بركة الدماء حتى يسبح بها القتيل ..! لم يكن قتيلًا عاديًا، بل كان أشدهم جُرمًا وأكثرهم بجاحةً !!

كان أشدهم خداعًا وأقلهم إنسانية !

يذكرني بهتلر، ولو أن هتلر كان له مبرراته المعروفة التي من الممكن أن تكون معقولة لدى جانب من البشر وغير مقبولة للجانب الآخر ، أما هذا الكائن العدواني الشهواني طريح الأرض لا توجد لديه مبررات حتى الأن لجُرمه سوى الشهوة، الخوف، الجشع، قيادة نفسه له .. فلا يهتم إلا لحاله ولا يشفع سوى بالمال ولا يحنو على شخص ولا شيء سوى ذاته..

كان مُلقى على الأرض مفتوح العينين وكأنهما غير قابلتين للاستسلام، غير مصدقتين أنهما لن تريا العالم مرة أخرى، تخشى من انتهاء كل شيء ، ترفض الموت وترفض الفناء.!

كان لأمجد سجلٌ مليء بالخداع والكذب والعداوة الشهوانية التي مزقت روح الإنسانية بداخله إربًا .. إربًا، فلم يتبق من كونه إنسانًا سوى جسده، والذي خسره في النهاية .. لم يخسره لكون الخير يتغلب على الشر دائمًا ! بل خسره لأن زيّفه قد كُشف وانحل أخيرًا ، قد خسره لأن سرابه قد أختفى وحل محله الواقع، قد خسره لأن المندب قرر فضحه...

*****

كانت امرأة عادية لا تحلم سوى بزوجٍ صالحٍ وابن متميز تفتخر به.. جلست تعزف قليلًا على قطعة البيانو خاصتها ، تعزف مقطوعات هادئة لـ"بيتهوفن" أو "شيلي غونزاليس " حتى تُهدئ من روعها وتوترها على حياتها العائلية .

كانت سيدة في الأربعين من عمرها، يتخلل شعرها الأسود بعض الخصلات الفضية فيلمع تحت ضوء القمر ، عيناها بندقيتان في لونها، وشفتاها كقبلة حنونة ، ترتسم على وجهها البساطة الدائمة والملامح المستكينة كسكون العصفور في الليل الدامس ملتفًا بجناحيه..

قاطع عزفها الهادئ طرقات خفيفة على باب منزلها فتذهب وتذهب معها ألحان موسيقاها أينما ذهبت لترى من بالباب !

- من بالخارج

- معزوفتك الصغيرة

تتهلل أسارير وجهها لنبرات صوته فتفتح الباب وكلها حنين له بعد غياب يومين عن المنزل وإغلاق هاتفه..

- اشتقتُ إليكَ كثيرًا يا صغيري

- أسف على إهمالي لكِ يا والدتي، ولكن الحياة قد غلبتني

- ودي لو أعلم ماذا ألم بك ؟

- جئتك لتحتضنيني مجددًا أود أن أُشبِع عيناي من رؤيتك قدر الإمكان

- وددتُ كثيرًا أن نعود تلك الأسرة الحنونة أنا وأنتَ ووالدك

- لا ولن يعود الزمان

- كيف حالك إذًا ؟

- ها أنا أشفى من جراحي

- إذًا ستعود بدر الذي عرفته منذ ولادته ؟!

- ....

- بماذا شردت يا عزيزي ؟

- لا شيء

- ما أخبار والدك بالعمل ؟

- لا أعلم عنه شيء منذ أمس، فقد كان هناك أعمالًا كثيرة وجب عليّ إنهاؤها

- وأين كنتَ منذ يومين ؟

- ذهبتُ إلى صديقٍ لأريح أعصابي من ضغط العمل .. المهم كيف حالك أنتِ ؟

- قلقة على والدك فلم يهاتفني منذ الصباح ..

- ولمَ القلق !

- أشعر بغصةٍ في قلبي يا عزيزي وأكره أن يُلمَ به مكروه

- لا تقلقي فهو دائم التأخير في العمل، وسيعود ونجلس جميعًا جلسة عائلية لطيفة كما كنا في السابق

- أتمنى حدوث ذلك يا صغيري، فوالدك متغير منذ فترة طويلة ولا أعلم عن احواله الشخصية شيئًا

- هل تشكين في أمرٍ ما ؟

- قلبي يحدثني بأنه ذهب ولن يعود

- كيف !

- لا أعلم .. دعنا من هذا الحديث الأن سأذهب لأجلب لكَ بعض الحلوى المقرمشة التي أعددتها في الصباح على أمل أن تأتي وتتناولها معي كحال كل يوم

- قام بدر بتقبيل رأس والدته وناظرًا في عينيها التي كانت تفيض حب واطمئنان: الحال سيتبدل، هيّا احضري الحلوى فأنا متلهفٌ لالتهامها كلها

ضحكت عزة ضحكات لطيفة وذهبت إلى المطبخ لإحضار الحلوى وهي وقلبها يرقص فرحًا لعودة صغيرها أو معزوفتها الصغيرة..

*****

في ذات الوقت الليلي في منزل كبير أشبه بالقصر المولودة فيه إحدى أميرات عالم ديزني مثلًا، كان الأب يجلس على كرسيه الهزاز يتأرجح أمامًا وخلفًا ممسكًا بورقة صغيرة يفكر في محتواها مرات عديدة ولا يصل إلى بر مناسب لبحر غموضها ..

قام محدثًا نفسه : ليس صدفة أن تأتيني هذه المقصوصة في تلك الظروف والأحداث التي أمر بها !!

من الواضح أن هناك شخصًا قريبًا مني يعلم ما يدور في حياتي وعملي وهو من بعثها ولكن ذلك الشخص المُلثم، من هو ؟

لا بد من وجود طريقة لأفك شفرة هذه الرسالة فأنا لن أتجاهلها كباقي الرسائل الإلكترونية التي أتتني في السابق كتحذيرٍ أو لهوٍ ..ولكن كيف يكون للمجد أساس قذر!!

صمت شاكر لحظات، وعيناه مغمضتان، يراجع شريط معارفه بالناس والأحداث التي وفدت عليه، لم يكن كباقي من بُعثت لهم تلك القصاصات فهو رجل أعمال ذكي لا يترك شيئًا غامضًا سوى وقام بحله؛ فهو على شعرة خسارة أو مكسب شيء ودائمًا يود المكسب ويحذر الخسارة كل الحذر.. ومن المحتمل أنه قد وصل لبر الحقيقة حين قام يهاتف مساعدته في العمل روز

- مرحبًا روز، أعتذر على اتصالي في هذا الوقت المتأخر

- لا داعي للاعتذار سيدي فأنا لم أنم بعد

- رائع لأنني أود منك جلب كل الأوراق المتعلقة بأخر صفقة كنا سنقوم بتوقيعها

- صفقة السيد أمجد على ما أظن !!

- نعم هو ذاك الشخص

- حسنًا ستجدها جاهزة على مكتبك في الصباح

- لا بل أودها الأن ..

- الأن !!

- المجد أساسه القذارة يا روز

- عفوًا سيدي !!

- حسنًا ..حسنًا، أحضري الأوراق في الصباح الباكر للمكتب

- تحت أمرك سيد شاكر.

أغلق هاتفه وهو ممزوج بكثير من المشاعر، سعيد أنه سيحاول فك شفرة الرسالة، خائفًا لما سيكتشفه وراء ذاك الشخص، متحمسًا لدراسة الأوراق بتأني وفهم كل بنودها، محتارًا لما سيفعله إذا وجد شيئًا غامضًا في أمره . قام يتمشى قليلًا في رواق منزله يستنشق بعض الهواء محاولًا أن يصفي ذهنه لما يملؤه ويأرقه حتى أيقظ ذهنه اصطدامه قدمه في باب تلك الغرفة، تلك الغرفة التي كانت مصدر سعادة المنزل بأكمله حيث كانت غرفة طفولة لينا .. فتح بابها بهدوء حتى وجد الغرفة لم تتغير وكأنه أخر مرة دخلها فيها كانت الليلة الماضية ولكن الحقيقة أن أخر دخول له أكثر من عشرة أعوام.!!

كانت جدرانها وردية اللون ترتسم عليها بعض الشخصيات الكارتونية من عالم ديزني والبعض الأخر زهور بيضاء صغيرة لتشعر وكأنك في عالم خيالي لا في غرفة طفلة ذات خمسة أعوام.. تخللت داخل قلبه مشاعر حنو واشتياق عندما رأى ذاك المبنى الصغير المبني من المكعبات الملونة وتذكر

حين كانت تجلس في هدوء الليل لتبني بيتها المستقبلي، وكل يوم تحاول أن تغير من بيتها وفي كل مرة تنجح في ذلك كانت أصداء ضحكاتها تتعالى في المنزل تدل على إنتصارها الطفولي العظيم.

تذكر لينا وكم كان غير جدير بها كأب أو صديق أو أي شيء.. كانت دائمة التقرب منه وهو دائم التخلي عنها من أجل مصلحته الشخصية واهتماماته في العمل والحياة الشخصية، قام بمهاتفتها مرات عديدة حتى قلق عليها، وجاء في مخيلته أنه قد أصابها مكروه حتى أجابته في المرة الأخيرة بصوت خافتٍ نائمٍ

- من !!

- والدك يا عزيزتي

- أعذرني أبي فأنا نائمة لم انتبه للاسم

- أين أنتِ ؟

- اعتدلت في فراشها سريعًا ورتبت أقوالها : أنا عند صديقة لي يا أبي لا تقلق فهي كانت تحتاج لمبيتي معها

- حسنًا، هل لي بمقابلتك غدًا !؟

- هل هناك شيئًا ضروريًا ؟

- نعم

- قلقت لنبرة والدها : ماذا هناك ؟

- أود الاطمئنان عليكِ يا صغيرتي، وهل هناك شيءٌ أهم من ذلك!!

أثارت تلك الكلمات غددها الدمعية فهي كانت في أشد الحاجة لسماع تلك الكلمات منه منذ وقت طويل، فلو كانت سمعتها لما حدث ما حدث ..

- أجابته بنبرة باكية: اشتقتُ لكَ كثيرًا

- وأنا يا عزيزتي اشتقتُ لكِ، وأعلم أنني لستُ جديرًا بكِ

- دعنا من هذا الحديث ونتقابل غدًا في حديقتي المفضلة

- إذًا لقاؤنا غدًا هناك

*****

في قسم الشرطة، وعند أحد ضباط الشرطة الليليين الذي كان يستمتع بمحادثة حبيبته في مكالمة غرامية وذلك نظرًا لهدوء الأجواء بالخارج واستكانة المجرمين لبعض الوقت لإعطاء الشرطة بعض الراحة .. أتت مكالمة على خط النجدة لتنبه ذاك الشرطي بأن يفيق من هيمانه ليعود إلى عمله

- نعم سيدي معك الشرطة

- أود الإبلاغ عن جريمة قتل

- أين المكان بسرعة ؟

- في جريدة "The light" القابعة على يسار الشارع الثالث من المدينة، ستجد جريمة القتل في الطابق الثاني، الغرفة الغربية

- حسنًا سيدي ولكن من أنتَ ؟ .. سيدي!

أغلق الهاتف ذاك الصوت الذكوري الذي حدث الشرطة منذ ثوانٍ وكل ابتسامات النصر تنتاب شفتيه..

تحركت دورية من الشرطة مسرعة نحو العنوان المُعطى لهم، صعدوا الطابق الثاني واتجهوا نحو الغرفة الغربية لينفتح الباب أمامهم ويجدوا شيئًا غريبًا!

*****

كان منزل حلمي تشوبه أجواء من الهدوء المخيف، هدوء تُسمع فيه أصوات الأنفاس، هدوء يمتاز بالهدوء ولا تعبير بلاغي يستطيع أن يصفه.. تجلس فريدة في غرفتها ممسكة بصورة حلمي، وتبكيها نحيبًا وتمزيقًا في شرايين قلبها من كثرة الألم لفقده، وكالعادة هنا في غرفتها لا تبالي لما يجرى في العالم الخارجي ولا تهتم سوى بمظهرها والحفاظ على شكلها حتى وإن أخفت أمام والدتها حزنها وأنها لا تأبه لشيء إلا وأنها أكثرهم حزنًا على فقدان والدها فقد كانت تحبه حتى وإن لم يعطها هو نفس مقدار الحب ذاك.

أقسم أن لا أحد يحب بكثرة سوى المُفتقد للحب..!

لا أحد يعطي سوى المحتاج ..

لا أحد يحمي سوى المُتضرر..

وإن كانت المعاني مجازية فإن روح الكلمات تطوف حول المعاني فتلمس كل شيء .

ولكن الغموض الأكثر كان يطوف حولها هي، حول موج..

كانت مغمضة الأعين، تبتسم شفتيها، وعضلات وجهها في حالة انبساط .. كانت الغرفة طبيعية لا وجود لرداء أبيضٍ داكنٍ ، أو شالٍ أو ما شابه، إذًا لمَ هذا الغموض في حالتها !!

جاءت بالكتاب لتفتحه وتنثر بعض الدموع التي اختزنتها داخل تلك الجفون المُغلقة ليهدئ الكتاب ثورتها الداخلية مُخططًا شيئًا ما ..

(قد جاء وقت الراحة، قد جاء وقت الحق، رُدت المظالم، ولكن المظلوم سيدفع الثمن .. لا تتحرك ودع الأمور تنقلب..)

حدثت نفسها بعد وقوع تلك الكلمات في الكتاب: كيف لي لا أتحرك!! كيف لي لا أحمي مظلومًا من دفع ثمن شيء لم يقم بفعله!!

ثم قامت بإطلاق صرخة كادت أن ينكسر لها زجاج نافذتها لتخرج للعالم الخارجي تدمره من شدتها، فتتبدل الأجواء لتطل بالثوب والشال في مكان مظلم لا يوجد فيه سوى مقعد خشبي بالي مهترٍ تتطاير عليه بعض أوراق الأشجار صفراء اللون بعضها وأرجوانية اللون البعض أخر، ظلت تجوب المكان ذهابًا وإيابًا لتجد شيئًا ما يدلها على مكانها ولكنها لم تجد، ظلت تنتظر الأصوات تعود لها لتحدثها وتخبرها عن تلك الكلمات التي خطها الكتاب ولكن انتظارها باء بالفشل أيضًا فلم يأت أحدٌ المكان ولم تستطع هي العودة إلى غرفتها...

*****

فتحت الشرطة باب الغرفة المُبلغ عنها حتى تجد ماذا حدث ولكن حين فتح الباب وجدوا شيئًا لم يكن بالحسبان!

من المعروف أن جريمة القتل المُقامة على الأقل سيوجد القتيل أي ستوجد الجثة وسيفر القاتل هاربًا بسلاح الجريمة، ولكن ما وُجد هو من نوادر الأشياء التي تحدث في عالم الجريمة وهو أن تجد أداة القتل فقط!!

- الشرطي: ما هذا الهراء؟؟!

- المساعد : أظن أنها مزحة سخيفة من بعض المراهقين

- الشرطي : كيف لقاتل أن يقتل هدفه ويختفي هو والقتيل، ويترك لنا سلاح الجريمة فقط!

لمَ لم يأخذه!!

- المساعد : أنظر هنا سيدي خلف هذا المكتب

اتجه الشرطي خلف المساعد نحو المكتب ليجد أثار دماءٍ موجودة..

- الشرطي : تلك الأثار تدل أن صاحبها قد تم سحبه على الأرض عدة سنتيمترات ومن ثم الأثار تختفي أي أن من سحب الجثة قد حملها بعد تلك السنتيمترات، وخرج بها من المكان وغفل عن مسح الدماء حتى لا يكتشف أحد جريمته

- المساعد : حسنًا لدينا هنا سلاح الجريمة وأثار دماء نغفل حتى الأن عن معرفة صاحبها!

- الشرطي : لا تلمسوا شيئًا هنا حتى يأتي البحث الجنائي ويكتشف المجهول ..

بعد عدة دقائق انتظار في الجريدة أتى البحث الجنائي وقاموا بمعاينة الأثار والبصمات، وترك المكان بعد المعاينة للعمل على تحليل ما أخذوه..

*****

في منزل السيد أمجد تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل

- بدر : أكملي العزف رجاءً يا أمي

- عزة : ولكن الهاتف يرن

- بدر : يا لحماقتي، لم أسمع الرنين، حسنًا سأجيب أنا

- بدر : مرحبًا

- الشرطي : مساء الخير سيد بدر

- "بدر" : مساء الخير، من يتحدث ؟

- الشرطي : أنا الشرطي ريفير، من شرطة المدينة، وددتُ إخبارك بشيء ضروري

- بدر وقد بدت عليه علامات التوتر : تفضل سيدي

- ريفير: جاءنا بلاغ في الواحدة بعد منتصف الليل عن حدوث جريمة قتل في جريدة السيد أمجد وذهبنا هناك بالفعل لتقصي حقيقة الأمر و...

- قاطعه بدر مسرعًا بصوت أجش : جريمة قتل ماذا!! ما الذي تتفوه به؟!

- ريفير : سيدي هدأ من روعك، لم نجد الجثة ولكننا وجدنا سلاح الجريمة وبقايا دماء، فقمنا بتحليل الدماء لنجد أنها تخص السيد أمجد ، ومن الواضح لدينا أن والدك تم قتله وللأسف السلاح الذي تم القتل به لا توجد عليه أثار بصمات سوى بصمات مالكه ، فمن الواضح أن القاتل عليم بكل شيء؛ ولذلك استخدم سلاح السيد أمجد المرخص باسمه،فالسلاح يخص والدك أيضًا،ولايحوي سوى بصماته..

استمرت المكالمة ثمانية دقائق بين الصدمة والتساؤلات والاستعلام عن خلافات أمجد بأي شخصٍ سواء قريب منه أو بعيد وذلك لتعذر بدر عن عدم قدرته بترك والدته الأن، والإتيان إليهم وبعد انتهاء المكالمة لم يستطع بدر إخبار والدته بشيء مما سمعه منذ قليل، لا يدري أيخبرها أم لا ولكن بعد تفكير قرر عدم إخبارها فهي تحب والده حبًا جمًا ، لن تستطيع تحمل صدمة كهذه، لن تتحمل صدمة قتله ومفارقته للحياة..

- من كان بالهاتف ؟ ولمَ كل هذا الوقت ؟

- كانت صديقة لي تستعلم عن بعض الأشياء في العمل

- صديقة فقط أم حبيبة!

- أرجوكِ أمي، لا مجال لأي شيء آخر في حياتي سوى العمل

- أنا فقط أود الاطمئنان عليكَ، ووالدك يود ذلك أيضًا

- كادت الدموع تتساقط منه : أستأذنك عزيزتي؛ فقد شعرتُ بالأرق وأود الخلود للنوم قبل وقت العمل غدًا

- حسنًا يا عزيزي، نومًا هنيئًا.

تركها ليذهب لغرفته في حزن كبير يدمر خلاياه الداخلية ويمزق شعيراته العصبية فهو غير قادر على تحمل المزيد من الألم وعدم البوح به ..

*****

مازالت تائهة في المكان، عالقة في المنتصف، غير قادرة على العودة أو التقدم خطوة في عالمها الأخر..

- لا تعاندي الكتاب

- أين كنتِ طوال ذاك الوقت ؟

- لم يُأذن لي بالمجيء

- لمَ أنفذ ما قاله ؟

- حتى تسير الأمور بشكل سليم

- لن أدع مظلومًا يعاني

- ستعانين أنتِ إذًا

- سأحمي نفسي

- الحامي متضرر

- غير مهم ولكن لن أدع شخصًا يُظلم دون وجه حق

- تغيرتِ ؟

- قبل معاشرتي لكل تلك الأحداث كان من الممكن أن أتجنب المساعدة ولكن الأن أشعر أنه واجبي المُلزمة به

- أخشى عليكِ

- معي من أحبه

- ولكن يا صغيرتي..

- ساعديني

- اهتمي بنفسك أرجوكِ

- ساعديني إذًا

- دعي الثوب والشال يحملا العبء عنك، فقد أمرهم المندل بجلب راحة قلبك.

- أشعر بأنهما يتملكاني

- بهما ستنكشف كل الأمور...

*****

في صباح اليوم التالي

دخل شركته وهو على أتم الاستعداد لفهم كل شيء يدور من وراء ظهره ، كان في تسرعه كقطعة من الجمر على النار

تتطاير منها الشرارات، وتلتهب لتظهر باللون الأحمر البركاني، فكانت سرعته وكأنها تلك الشرارات المتطايرة .

دخل مكتبه متمشيًا بخطوات طويلة، وقد ساعده على ذلك طول قامته، بالرغم من هرولته إلا وأنه منظمٌ فقام بوضع حقيبته التي تحمل حاسوبه النقال في مكانها المخصص وجلس هو على كرسيه بعد خلع تلك السترة التي كان يرتديها فوق قميصه سماوي اللون ..

لم ينفك في التقليب في الأوراق، وفهم كل حرف يجاور الحرف الأخر، وبعد عناء شديد خلع نظارته الخاصة بالقراءة، ووضعها بجوار حاملة الأقلام، وأمسك بهاتفه النقال ليطلب أمجد ليخبره بعدم استكمال صفقتهما معًا لما رآه من تجاوزات قانونية كانت مندسة خلف البنود المُغرية ولكن لسوء حظه كان الهاتف مغلقًا فهو لم يعلم بعد بشأن جريمة القتل التي حدثت بالأمس...

حاول أن يبعد هموم العمل بعد خروجه من الشركة مباشرةً ليستعد لرؤية صغيرته التي قد اشتاق لها وكأنه لم يرها من سنوات عدة، فهو بالفعل لم يرها منذ زمن وليس الرؤية بالأعين؛ بل بالروح والقلب..

فهو لو بعينيه فقد رآها كثيرًا، أما لو الأمر متعلقًا بالروح فلم يرها منذ زمن، منذ ولادتها تقريبًا حيث جعل روحه تنساق لمشغولات العمل ونسيان فتاته التي وُلدت بسببه، والتي

جاءت ليكون والدها لها أول أمير بحياتها، ولكنه لم يكن كذلك حتى الأن .

في حديقة صغيرة تتخللها أشعة الشمس من الجانب الشمالي لها فتنزل على العشب لتضيء المكان فيكون أشبه بإبتسامة متكونة على الأرض فهي قصة خيالية عندما تحاول تفسير تلك الأشكال المتكونة بالظلال والضوء فترى حينًا أميرًا يقبل أميرته، أو عازفٍ ترقص أصابعه على البيانو ليولد من تحت يديه ألحانٌ متطايرة حولنا، كان هو يرى لينا يرى ابنته التي بدت له الصفقة التي لم يهتم أبدًا بأن يربحها، ولو كان ربحها لربح كل ما في الحياة ..

- ها أنتَ ذا بالفعل !

- ولمَ الاستغراب ؟؟

- فإنها أول مرة توعدني بالمقابلة وتأتي بالفعل

- هل كنتُ متجاهلًا كثيرًا معكِ ؟!

- بل كنت متناسيًا .. والفرق أبشع

- قد علمتُ خطئي ولا أجرأ على طلب العفو منكِ

- ولكنني لم أقل أنني غاضبة منكَ يا أبي

- حتى ولو لم تتفوهي بذلك أنا أعلم أنكِ ساخطة عليّ

- غاضبة من الفعل ليس من الشخص؛ لو تعلم مدى حبي لكَ أكثر من أي شخص موجود معنا في هذه الحياة لما قلتَ ذلك

- لسوء حظي أنهم لم يخترعوا بعد آلة الزمن

- آلة زمن!

- نعم، حتى أتمكن من العودة أدراجي وتصحيح كل الأخطاء ورؤية ابتسامتك مرة أخرى

- ابتسامة!.. هه مثير للسخرية

- قد تغيرتِ يا عزيزتي

- قد انهزمتُ يا أبي، هزمتني بشاعة الكون والقدر والحظ

- أقسم أنهم لو كانوا بشرًا لقتلتهم

- ولكن وسائلهم لهزيمتنا هي البشر يا أبي ..

- من غيَّركِ هكذا وما الذي حدث ؟؟

- بدأت الهزيمة خطتها منذ ثلاث أعوام...

قامت لينا برواية ما حدث معها بتوتر وخوف منذ أن كانت في حفلة تخرجها وجاءها ذاك الرجل اللعين حتى إخباره بحملها وهجره لها، لم يكن الأب وابنته على علم بمقتل أكثر شخص قام بأذيتهما

- لمَ لم تخبريني ؟

- متى؟ وأين؟ وأنت طوال الوقت منشغل في عملك ولا تعطي لأي شيء آخر بالًا

- نحن الأن لسنا في وقت يسمح لخوض نقاش يهين كلا الطرفين، يجب عليّ التصرف مع ذاك النذل الذي استغل كلانا للوصول إلى مطامعه

- ولكن..!!

- أما زلتِ تحبينه ؟

- قد مزقتُ ثوب الحب منذ هجره لي، ولكنه سيزال والد طفلي الصغير

- سيطلقكِ وستنجبين الطفل في بيتنا لنعتني نحن به ولا يكبر كأبيه

- لا تلوث يديك يا أبي

- يجب تلويثها إذا كنا نريد إزالة القذارة يا عزيزتي، ولكن لا تعطي لتلك الأمور بالًا؛ فيجب أن تأتي معي الأن لأي مشفى نطمئن على صحتك ثم نعود لمنزلنا

- ولكنني أود المكوث في المنزل الذي أعيش فيه الأن فقد اعتدتُ عليه ولقد اعتاد عليّ

- أين مكانك إذًا لزيارتك!

- في منزل الشاطئ الخاص بصديقة لي تُدعى موج، على رمال شاطئ "سانتامونيكا"

- حسنًا يجب علي مقابلة تلك الفتاة حتى أطمئن أنكِ في أيدي نظيفة

- سأتدبر أمر تلك المقابلة إذًا، ولكن بعد إفاقتها من موت والدها

- فليكن ذلك

الفصل العاشر

يقول أحدهم في جلسات لضبط النفس: لو لم يعاندني القدر لكنت في طبيعتي الأن، ولم أكن مضطرًا للجلوس حول أُناس يشعروننني بأقل الكلمات بأن حزني شيء تافه لا يجدر بشابٍ مثلي البكاء عليه ..

لا يعلم أحد منا كم من المتاعب التي يتعرض لها الأخرين سواء داخليًا أو من العبث الخارجي، ولا يعلم أي كائن على وجه الأرض كم يبذل أخيه مجهودًا حتى يستطيع تجاوز الأمر، ويحيا متناسيًا الصدمات التي تصعقه، وكأنه من أهالي الأمراض النفسية في مصحة نفسية نائية، والوسيلة الوحيدة للعلاج هي الصاعقة، والصدمات ..

هي ليست وسيلة للعلاج بقدر أنها مهبطٌ للتفاعلات الداخلية بين الخلايا العصبية فتجعل الفرد يهيج ولكنه يهدأ بعد ذلك .

الصدمات التي نواجهها كل يومٍ تزيل جزءًا إنسانيًا منا أول بأول حتى ستقضي على كامل الإنسانية، فسيتبقى لنا الجسد فقط بلا الروح، وحينها لا تلم أحدًا على ما سيفعله ..!

بعد دخوله الغرفة هربًا من حديث والدته المبتذل الذي ستنصحه فيه بإيجاد فتاة مناسبة له ليعمر المنزل بالأحفاد ..إلخ..

قد ترك جسده المنهك من كتمان الأسرار والأقوال يرتمي على السرير الهادئ مُنظم الترتيب، فترك جسده تحت سيطرة الخمول والكسل وانبساط العضلات والخلايا العصبية ليتغافل حتى عن نزع قميصه الأسود الذي لا ينفك يرتديه، والذي قد امتص الكثير من حبيبات العرق ليظهر باللون الأسود الغامق نظرًا لابتلاله وبعض الخطوط الرفيعة البيضاء التي تدل على تكون الملح عليه.. أغمض عينيه للحظات، ولكنه شعر أنه أغلقها لسنوات لما تذكره في تلك اللحظات

في قطعة أرضية مشجرة أشبه بالغابة الصغيرة، والتي كانوا يدعونها بغابة العُشاق لأنه لم يلوث قدمه برمالها الممزوجة بالماء سوى العاشق الولهان الذي جاء بحبيبته في هذا المكان ليحظيا بالقليل من الخصوصية، ليست خصوصية محرمة ولكنها خصوصية لبعض ذكرياتهما سويًّا معًا .. كان بدر في رفقة معشوقته الصغيرة نوران يمضي الكثير من الدقائق لا يتحدث إليها فقد أكتفى بالنظر إلى عينيها اللوزاتيين اللامعتين اللتين لا يلمعان سوى بحضوره هو، ولا يسودهما العتمة سوى بغيابه عن ناظرهما..

كان تميز لون عينيها بالبني العسلي يجعله يحلق في سمائها وكأنه نحلة تطلب التقرب من ملكة النحل بكل الطرق

نوران هي نور بدر،

وبدر هو ضوء القمر لنوران

تعبث في أوراق الأشجار المتساقطة في ضوء النهار وتلتف حول تلك الشجيرات الصغيرة باعثة لها الأمل بصوتها العذب وكلماتها الهادئة الموسيقية التي كانت تتفوهها كأنها ترانيم مقدسة تتلوها للأشجار حتى تهدأ روحها وتخضع لحكمها.. يا لروعة فستانها المُزهر الذي تملؤه زهور عباد الشمس الصفراء ويتميز بعدم وجود أكمام له سوى خيط رفيع يلتف حول رقبتها ليثبت فستانها بجسدها ولا يسقط فيبدي فتنة جمال جسدها، وتلك الشعيرات القصيرة التي كانت تتطاير في الهواء فلا تلمس أكتافها، وتلك الزمردات المتلألئة التي كانت تميز أسنانها فلما تضحك تنبهر بجمال ذاك الثغر المُتَبسم، كان ينظر لها وكأنها معزوفة سابحة في غيوم السكون.

كانت الجانب المُسالم له..

كانت كتابه المُقدس الذي يُحرم تدنيسه..

لم يرها فتاة، بل رآها روح سيدتنا حواء..

ولو وجب ذكر العاشقين لذُكر إسميهما بدلًا من عنتر وعبلة أو روميو وجوليت فقد غلباهما عشقًا..

- ألن تستريحي قليلًا!

- تشعرني وكأنك لا تحب رؤيتي أتجول بين الأشجار!!

- أحب ذلك بالفعل ولكنني أود التحدث معكِ

- ضروري!

- يتبسم بدر : ضروري

تنفض بقايا الأوراق المتساقطة من على ثوبها لتتمشى ناحية ذاك المقعد البالي قليلًا، ولكنه يتحمل جلوس العاشقين فقط عليه فكما تقول الأسطورة " العاشقون لا يجلسون بل يهيمون أو يسبحون في فضاء عشقهم .."

- ها أنا ذا يا مولاي

- أقسم أنه لا مولى لي سواكِ

- وأنا قد بلغتُ من العشق مالم يُبلغ فيكَ

- ولهذه الكلمات اللطيفة أدعوكِ مولاتي لحفلة راقصة

- حفلة راقصة!!

- نعم حفلة راقصة سيقيمها والدي الليلة، يدعو فيها كبار رجال الأعمال حتى ينهض بعمل الجريدة

- وهل أنا فقط المدعوة من الجريدة ؟

- تعلمين أنني لن أدعو أحدًا غيركِ، ولكن ضيّ ستأتي الحفلة رغمًا عني مع والدها

- حسنًا، أنا بالطبع سآتي، لن أتركك فريسة سهلة لها

تحولت تقاسيم وجهها إلى الغضب والشر حين سماع اسمها يتردد على لسانه، حتى ولو كان السبب الذي يجعله يذكر اسمها هو الموت! تغار عليه من نفسها إذا اهتمت به كثيرًا فهي مريضة بحبه وهو مجنونٌ بعشقها، فلا مفر من محاولة تقسيم هذه الروح المتصلة سوى الموت..

بعد اتفاقه معها على اصطحابها للحفلة التاسعة مساءً غادر كلًا من العاشقين للاستعداد لتلك الحفلة التي كانت الجنة لهما وبداية هلاكهما.

ظل في غرفته طوال اليوم ما بين حجرة الملابس إلى الحمام إلى مرآته إلى حجرة الملابس مرة أخرى إلى درج الأحذية؛ حتى ينتقي منهم كل ما يطيب لخاطر نوران، وتحب رؤيته عليه، حتى انتهى من اختيار أوسم بذلة لديه قد أشتراها له والده من باريس حين تجواله مع إحدى أصدقائه، كانت سوداء اللون حيث طغى على حبيبته رؤيته بهذا اللون قائلةً أنه لون العظماء دائمًا..

احتار في اختيار لون رابطة العنق حتى أيقن من لون فستان نوران الذي سترتديه فهو لونها المفضل فقام باختيار رابطة عنق زهرية اللون مائلة إلى اللون الأزرق الغامق أو المُسمى "الكحلي".

بالطبع سيكمل تلك اللوحة الفنية المبهجة وكأنها لوحة من لوحات فان جوخ حذاء مخصص للحفلات المسائية أسود اللون، ذو لمعة تنتاب مقدمته ورباط أسود اللون أيضًا ليتحكم في إغلاق الحذاء على قدميه، مع بعض القطرات التي خرجت من فوهة زجاجة العطر الفاخر لتتطاير حول عنقه في تناغم وسعادة.

كانت الحفلة مقامة في إحدى القاعات المُخصصة لمثل تلك الحفلات لأن منزل أمجد لم يكن ليتحمل أعداد الوافدين، ولم يكن أنيقًا كفاية لاستقبالهم.. في ظل وقوفه على مدخل القاعة لاستقبال الأُناس القادمين في مظهره الجذاب الذي تتمنى أي فتاة على وجه الأرض رؤيته، رأى من تهبط من سيارة حمراء اللون مكشوفة السقف لتخبر الأرض بأن تنشق وتبتلع أي نسل أنثوي عليها، فهي تكفي لتحملها بمفردها فقط.

زاغت عيناه على مظهرها ليرى ما لم يره من قبل، طلت نوران بكل النور الذي قد يأتي من الشمس في ظهيرة يوم صيفي..

أميرة من عالم الأميرات، ترتدي حذاءً بكعبٍ عالٍ أكثر من ستة سنتيمترات ليتناسب طولها مع ذاك الثوب بنفسجي اللون الذي تخلت أكمامه عنه سامحةً لشالٍ من الفرو الرمادي بتغطية كتفيها منعًا للمارة برؤية جمالها الفاتن، كان الثوب يمتاز بأنه قصير القامة من الأمام وطويل يتلامس مع الأرض من الخلف، منعت شعرها من استنشاق الهواء حين قامت بربطه من الخلف بشكل دائري جذاب لتضع في منتصفه من الأمام تاج صغير فضي اللون؛ ليؤكد أنها أميرة قد تم تتويجها بالعرش ولكنها رفضت التتويج لتركض مسرعة إلى حبيبها المُنتظر.. كانت تسير ببطء لعدم تمكنها قليلًا من ذاك الكعب العالي جدًا بالنسبة لها، فكانت تسير خطوة خطوة ببطء كخطوات القطط حين تود السير بهدوء للانقضاض على فريستها

- ما هذا ؟

- ماذا!

- لم نتفق على هذا الشيء

- وما هو هذا الشيء؟

- كيف لكِ أن تنشري الفتنة بين كل الحاضرين حتى تودي بهم إلى الهلاك لعدم الوصول لقمة جمالك!!

- تعالت ضحكات نوران فهي من النوع الذي لا يستطيع السيطرة على ضحكاتها: ليس لي أيُ ذنبٍ في جمالي يا مولاي

لم يجد بدر ما يقوله لها فقد بحث كثيرًا في معجم كلماته في قسم الكلمات المُعبرة عن الجمال والغزل ولكنه لم يجد أحرفًا تستحق أن تصف ذاك الجمال فاكتفى فقط بالتطلع عليها وعلى ذاك الوجه الممتلئ بالابتسامات الرقيقة وتلك الشفتين اللتين زينهما أحمر شفاه يبعث الشهوة في نفوس كل من رآه.. لأول مرة منذ علاقتهما تخجل من نظراته لها وكأن تلك النظرات كانت مختلفة كل الاختلاف عن باقي أخوتها

- هل لكَ أن تجعل ناظرك يغفل عن رؤيتي؟

- أطلبي منه ذلك

- كيف!

- لا أعلم

- حسنًا، أستسمحك عذرًا يا ناظر مولاي أن تبتعد قليلًا عني

- قام بتغير نبرة صوته ليقول لها: ها ها طلبك مستحيل يا جميلة

- ولمَ مستحيل ؟

- وهل من عاقل يغادر الجنة من نفسه؟؟

- لا

- فكيف لكِ أن تطلبي مني أن ابتعد قليلًا عن تأملك!

- قد غلبتني

- قد غلبتني أنتِ يا نوران حين لا أجد ما أعبر به عن حبي لكِ

- ولمَ تُعبر وأنا كلي علمٌ بمدى حبك لي!

- لحظة هناك كارثة كونية، لمَ لم تأتي بثوبك الزهري؟

- وددتُ أن أظهر كأميرة هذه الليلة

- أنتِ أميرة كل ليلة، وكل لحظة، ولكنني ارتديتُ تلك الرابطة حول عنقي حين اعتقدتُ بأنك سترتدين لونًا زهريًا

- عزيزي لا تعتقد مرة أخرى أي شيء حول مظهر الفتاة لأنها ستخذل اعتقادك شر الخذلان

- بالفعل، أنتِ خذلتني ولكنه ألذ خذلان من الممكن أن يتذوقه شخص

- كفاكَ مغازلًة فيّ

- يسخر منها بدر بنبرة باكية: لا أستطيع، ولكنني سأحاول

- أين السيد أمجد؟

- لا أعلم، كان بجواري منذ قليل قبل مجيئك، ولكنه من المؤكد بأنه يستقبل الضيوف

- وأين هي؟

- مَن؟

- بسخرية: ضياء القمر

- في الداخل ملاصقة لوالدها وأصدقائها الأغنياء

- حسنًا سأذهب لأي مرآة قريبة لأقوم بضبط من شعري قليلًا

- انتظري سآتي معكِ

- لا أود حضورك فسأشعر بالخجل وأنا أهندم من نفسي أمام أحد وبالأخص مولاي

- حسنًا

- إلى اللقاء

- انتظري، هل قلتُ لكِ من قبل أنني أُحبكِ!

لم تشعر نوران بنفسها حين سماع تلك الكلمة منه بالرغم من مرور أشهر على علاقتهما، إلا وأنه لم ينطقها صراحًة، كانت هناك كلمات مشابهة لها ومجازية كأحب رؤيتك أو اشتاق لعينيك، أو تلتهمني نار حبك .. ولكنه لم يقلها قط، لم يقل (أحبك)

- لا، لم تقلها ولكنك عبرت عنها

- حسنًا ، أحبكِ وهيّا اذهبي

ذهبت من أمامه وكانت كالأميرة التي اشترط بقائها على قيد الحياة حصولها على قبلة الحياة تلك من حبيبها، فكانت فائزًة بالجائزتين، وهما الحياة والقبلة من الحبيب..

*****

كانا يظنان أنفسهما في خفاءٍ عن أعين الناس، أو بالأخص عن "ضياء القمر" - كما لقبتها نوران ـ ولكنها كانت تراقبهما بأعين صقر، لا بل بأعين البومة التي تخدع ويظنها الناس لا ترى ولكنها أقوى رؤية لو يعلمون .

استشاطت غضبًا لرؤيتهما معًا في تلك السعادة، وكانت تشعر بأن بدر من حقها، وليس لأي فتاة على وجه الأرض الحق في الاستيلاء عليه وكأنه سلعة تُباع وتُشترى، أو قطاع أرض يُورث أو أصول وعقارات تُهدى في مزادات لمن يدفع اكثر..!

لم تعلم بأن الروح تلاقت..

لم تعلم بأن روحها تنفر من روحه، وتدعوها للبحث عن شريكها الحقيقي، ولكن غيرتها العمياء وشهوتها العدوانية هي من تجعلها تأبى الركوع ..

لم تعلم بأن نوران نور بدر، وأن بدر ضوء القمر لنوران..

استغلت تلك الفرصة واستغلت شهوة أمجد المعروفة تجاه المال وطلبت منه ما تأبى الروح عن طلبه، وتشتهي النفس العدوانية له..

استدعت أمجد خلف عمود ضخم في إحدى جوانب القاعة كي تحدثه في أمر نافع للطرفين

- سبعون ألفَ دولار

- ماذا!!

- كما سمعت

- بالطبع كما سمعت، فأنتِ ابنة أحد أغنى رجال البلدة ولكن العجب بأنكِ تعملين لديّ في جريدتي المتواضعة

- لا أعمل لديك لحبي في جريدتك الحمقاء

- فلماذا إذًا ؟

- لا علاقة لكَ بذلك، ستنفذ فقط طلبي وستأخذ أجرك

- ما المطلوب؟

- نوران

- ما بها تلك الجميلة

- لا تقل جميلة أمامي أيها الأبله

- أها.. إنها غيرة نساء إذًا

- لا علاقة لكَ قلت

- حسنًا ادخلي في صلب الموضوع دون مقدمات تافهة

- أود إنهاء علاقتها ببدر

- وكيف ذلك وهما أكثر من عاشقين، حقًا أغار منها لأخذها ابني ولكني سعيد بسعادته

- سعادة ابنك أم سعادتك بالمئة ألف دولار!!

- مئة!!

- نعم ، مئة ألف دولار مقابل إنهاء تلك العلاقة العقيمة

- ماذا ستستفيدين ؟

- أكون أنا زوجة ابنك المستقبلية وليست تلك الغبية البلهاء

- حقًا صفقة رائعة ولكن كيف!!

- كيف؟ هذه هي مسئوليتك، ولكن في الأول لا ينبغي على أحد معرفة ذلك، مفهوم!

- بالطبع سيدتي

ذهبت ضيّ لتعود لوالدها تاركةً عقل أمجد يجوب عالم الإجرام باحثًا عن تلك الطريقة التي من الممكن أن تقضي على علاقة لا يُنهيها شيء سوى الموت..!

- ثم حدث نفسه قائلًا: إن كان الموت هو من سيأتي لي بمرادي، إذًا فليكن الموت وسيلتنا.

*****

حينما رأت ضيّ أن أمجد قد وصل لبر أفكاره الإجرامية اتجهت إلى بدر الذي كان يقف منتظرًا أميرته في لهفة وشوق، فتركت والدها وأصدقاءها، وذهبت في عدم استحياء متمايلة ناحيته حتى وقفت أمامه نازعةً عنها شالها لتظهر بثوبها الأسود اللامع القصير من الأسفل، والذي لا يغطي شيء من أعلى أيضًا، فلمَ ترتديه!

المهم أنها تقدمت ناحيته، ونزعت شالها، الذي كان يخفي جسدها القابع أسفله لتظهر بمظهر جذاب شهواني لا يرفضه أي شاب أيًا كان، فلمعت عينا بدر لحظة من الزمن، ولكنه عاد أدراجه، وأفاق من تلك الغفلة التي أدخلته فيها محاسن ضيّ

- ما الذي تفعلينه؟

- ماذا أفعل يا بدر!! أنا فقط أود نزع الشال؛ فقد جعلني أشعر بالحر بالإضافة إلى أن الرطوبة تزداد في هذا المكان

- حسنًا، لمَ تركتي والدك ؟

- مللتُ منه، وجئت لأتحدث معكَ قليلًا

- ولكنني في انتظار شخص ما

- نوران..

- عفوًا!

- في انتظار حبيبة القلب، أعلم.. ولكنك مغفلٌ حين تسمح لنفسك بترك فتاة مثلي، والذهاب كالأعمى خلف فتاة مثلها

- عذرًا يا ضيّ يبدو أنك ثملة وأنا لا أقبل أن يقوم أحدٌ أيًا كان من أن يهين نوران، حتى لو والدي

- ولكنني أحبك

- وأنا أحبها

- ستنعم معي بكل ملذات الحياة

- ملذات الحياة كلها معها هي

شعرت بأنه لن يستجيب للحديث، ولن يأتي بأي نتيجة إيجابية لصفها، فقامت بالاقتراب أكثر منه حتى تلامس الأنفان فشعر كلٍ منهما بخروج أنفاس الأخر ، في تلك اللحظة لم يستطع بدر مقاومة ضيّ فهي بالأساس لم تعطه الفرصة وهو لم يعطها الفرصة لفعل شيء سيندمان عليه لاحقًا، فقد قطع تلك اللحظة المُخزية له ظهور نوران كنار أو لهب يحرق كليهما، فانتفض مُبتعدًا عن ضيّ مهندمًا ملابسه التي كانت تمسكه

منها حين محاولتها للتمايل عليه ولكن مشاهدة ضيّ في شبه أحضانه كانت بمثابة الصاعقة التي أهدمت بيوت المدينة كلها بالنسبة لنوران، فقامت بالاقتراب من بدر وتعديل ملابسه ورابطة عنقه وهبطت على ركبتيها لتأتي بشال ضيّ ومدته لها حتى تستر بها جسدها المكشوف من دونه فكانت ضيّ في موقف يمتزج فيه الإحراج مع الضيق، ولكن ليس بيديها حيلة، فلم تتمكن من جلب بدر من يديه وإبعادها عنه حتى لا يتم بينهما ذاك الشجار المتوقع بين أي فتاتين في منتصفهما شاب..

تمسكت بيد بدر ليخرجا من القاعة، وقد نزعت من قبلها حذائها العالي حتى تستطيع المشي مسرعةً، بل لتستطيع الركض من أمام ضيّ محاولةً نسيان ما رأته، فهي التي تُسمى حبيبته لم تقترب منه ذاك القرب التي فازت هي به، وبرغم كل المبادئ التي تتمتع بها نوران إلا وأن ذلك المشهد السابق لبدر مع ضيّ كانت تتمناه هي، كانت تتمنى ذلك الوقت التي يحق لها احتضانه، المبادئ تُهدم عند الغيرة والغضب.

بعد تركهما للقاعة اتجها إلى غابتهما السحرية ـ كما يلقبانها ـ مشيًا، ولكن رغم قرب المسافة نسبيًا إلا وأن الوقت مر كسنوات عليهما فهي تمشي منهمرة الدموع في صمت، وهو بجوارها صامتًا لا يدري ماذا يقول، فكل كلمة سيقولها لن تشفي جرحها الذي قد شقه داخل قلبها..!

ـ ها قد وصلنا، أجلس

قالتها نوران وهي تحاول ضبط نفسها بعد كم البكاء الصامت الذي نال على جزء كبير منها

- حسنًا جلستُ، اجلسي أنتِ أيضًا

- هل هناك ما تود قوله ؟

- أنتِ تعلمين أنني لن أفعل ذاك الفعل السابق مهما حييتُ

- إذًا كيف تم ؟

- هي من أتت لي، ويبدو أنها تناولت الكثير من النبيذ فبدت في هذه الحالة المخدرة

- وهل التخدير أصابك أنتَ أيضًا!!

- ماذا تقصدين؟

- سمحت لها أن تقترب منكَ هذا القرب دون تجنبٍ منكَ أو اعتراض

- من هول الصدمة توقفتُ مكاني كالتمثال لم أقدر على الحركة

- هل شعرت به؟ أو فكرت به؟

قالتها وهي مشاورةً على يسار صدرها المجروح

- أحاول الحفاظ عليه مهما كلفني الأمر، صدقيني

- ولكنك...

- نوران ماذا بكِ؟؟

- لا أدري يا بدر، ولكنني لا أستطيع التنفس

قالتها وهي تتمتم وتخرج منها الألفاظ بصعوبة بالغة كما وكأنها تخرج الروح منها

قام بدر بنزع الشال عنها حتى يسمح للهواء أن يملأ رئتيها ثم أسند رأسها على ساقه اليمنى محاولًا جعلها تتنفس وتستريح، ولكنها كانت تتهدج وصدرها يصعد ويهبط بشكل كبير قاسٍ لدخول وخروج الهواء

- حسنًا أخبريني ما بكِ أرجوكِ !!

- لا أدري، أشعر ببرودة الطقس

- اقتربي مني سأقوم بتدفئتك

قام بمسك شالها مرة أخرى وتدفئتها به، ثم ضمها إليه حتى يقوم هو الأخر بتدفئتها، ولكن دون جدوى؛ فهي مازالت ترتعش بين أحضان ذراعيه

- تعلم كم تمنيتُ تلك اللحظة التي أكون فيها بين أحضانك

- لا تتحدثي الأن فقط استريحي حتى تأتي الإسعاف؛ فقد طلبتها الأن وها هي قادمة في الطريق

- هل أخبرتك من قبل أنني أحبكَ؟

- قامت دموعه بالنزول على شالها، ويبتسم: ولكنك عبرتي عن معنى الكلمة

- حسنًا، أحبكَ

ومع لفظ أخر حرف في الكلمة لفظت نوران أخر نفس لها في الحياة وكم كان القدر رفيقًا بها؛ حيث لبى أمنيتها في أخر دقائق لها في الحياة، لم يستطع بدر استيعاب ما يجري حوله وكأن الأشجار تبكي لفقدانها، وكأن السماء تأبى موتها، وتزفر رافضةً ذلك الحكم الإلهي الصادر باسمها، فكانت تبعث الرياح لتطمئن أنها من الممكن رجوعها الحياة، ولكن الرياح ترجع حزينةً مطأطئة الرأس للخذلان

ماذا تفعلين الأن!

أخبريني!

أقسم أنني لم أود إيذائك بهذه الطريقة

حسنًا، عودي وأنا سأهبط لقدميك أتوسلك للسماح

انظري إلى الأشجار كيف ذبُلت، أنظري للسماء تستجمع الغيوم لتنزل علينا دموعها لسخطها لما تفعلين

عودي، وسأترك كل شيء من أجلك

أتكرهينني لهذه الدرجة!

ألستُ أنا مولاكِ! آمركِ بالعودة حالًا

نوران أعيدي لي نور حياتي أَوليست نوران هي نور بدر!

أوليس بدر هو ضوء القمر لنوران؟

من سينير حياتي الآن؟

ومن سأكون ضوء القمر له؟!

لو كانت أخر كلمة في حياتك هي "أحبكَ" لما وددتُ أن تلفظيها، أقسم لكِ لما وددتُ سماعها طالما أنتِ تضحكين أمامي ولا تبالين بعلو صوت ضحكاتك أيًا يكن نحن أين أو متى

أنتِ قررتِ الذهاب ولكنني لن أدع كل ما يحيطكِ يذهب، فستبقى تلك الأشجار، أرعاها ما حييتُ، وسيبقى الأسود ملازمًا لحظات حياتي، لن أغيره وستبقين أنتِ أميرة العرش حتى تزول الأرض...

أتت الإسعاف متأخرةً كما أمرها القدر لتحمل على سريرها المتنقل أنقى جسد من الممكن أن تحمله طوال حياتها، وطلبت من بدر مهاتفة والدي المتوفاة للانتهاء من إجراءات المستشفى سريعًا، ثم رحلت بها، لم يهتم بمعرفة سبب الوفاة فهو إن علم ما السبب أو لا؛ لن تعود نوران إلى الحياة فلمَ الاهتمام!

رحلت سيارة الإسعاف بها، رحلت بنوران كجسدٍ تاركةً روحها في المكان لا تغادره حتى يغادر بدر هو الآخر الحياة..

أفاق من شروده عن طريق طرقات الباب الخفيفة التي طرقتها والدته لعدة دقائق، ولكنه لم ينتبه كفايةً لها

- هل من شيء يا أمي ؟

- منذ قليل باب المنزل قد أُطرق، وحين فتحي له لم أجد شخصًا، ولكنني وجدتُ هذا الظرف الصغير، ومكتوب اسمك عليه

- ظرف!

- تفضل يا بني، لم أود فتحه ومعرفة ما به؛ فهو ملكك

- لا داعي يا أمي؛ فلابد أنه خاص بالعمل ، سأراه لاحقًا

- حسنًا يا عزيزي ولكن من فضلك بَدل ملابسك حتى تنعم بنوم هادئ

- حسنًا يا عزيزتي، ليلًا سعيدًا

- ليلًا!! الصباح سيحل يا عزيزي

- حقًا! لم انتبه للوقت

- سأتركك الآن

تركته وهي على علمٍ بأن هناك خطب ما يحدث أو حدث له، فهو جزء منها، ولن يغفل قلبها عنه مهما بَعُد عنها.

- ما هذا بحق السماء!

قام بقلب الظرف ظهرًا على عقب، ولكنه لم يفهم منه شيئًا؛ فقرر فتحه حتى وجد مقصوصة صغيرة به خُط عليها الأتي :

(ستجده في المكان الذي آلمني فيه ..ستجده في الماء..)

*****

الفصل الحادي عشر

صباح اليوم التالي كان صباحًا هادئًا كهدوء البحر في فجر ليلة صيفية حارة.. لم ينشغل شخص ما بأعمال يومية سوى التفكير المزمن فقط، ذلك التفكير الذي يكاد يصل بالمرء لحد الجنون، أكاد أجزم أن التفكير هو ألد أعداء المرء فهو إن شاء يجعلك تلقى حتفك على ضفاف نهر هائج، وإن شاء جعلك تقتل الأرواح بغيًا في الانتقام لفقدان روحٍ واحدةٍ..

فهو التفكير..

استيقظت متيقنة أن النهاية قرُبت..

استيقظت مدركة أنها اكتفت من العبث ولن تحزن للذهاب بعيدًا..

استيقظت وهي مدركة أن جسدها سيثور عليها في المستقبل القريب لِما فعلته..

بعد تحضير كأسٍ من الشاي الساخن رغم سخونة الأجواء بالخارج إلا وأنها تتبعت عادة والدها الصباحية على أملٍ أن تسعده في ذهابه، وأنها هكذا تمجد ذكراها، جلست على مكتبها قليلًا حيث اعتادت على ترتيب وريقاتها وكتبها

الخاصة بها منذ الصغر عليه في شكل عمودي لائق بغرفة فتاة تهواها الماورائيات والأشياء الخفية حيث تكاد تصبح من الأبطال الخارقين، فكان ترتيب الكتب يأخذ شكلًا عموديًا ولكن كل كتاب كان يصعد الكتاب الأخر بزاوية 90 فكانت مصفوفة كتب مريحة لأعصابها وغامضة للغير..

أمسكت ببضع ورقات وقلمها المفضل لقلبها ذي السن الحادّ، وحبره أسود اللون فهو لون العظماء، وخطت بقلمها كاتبةً:

" إلى اختيار قلبي...

وددتُ بعض الأوقات لو تمثل لُقيانا في إحدى الحانات الصغيرة التي ترقد في شوارع ضيقة وتقبع في الأسفل، رغم عدم ترددي عليها طوال عمري إلا وأنها كانت تمثل لي الجزء الضائع من العالم، لا أدري لماذا ولكن بالطبع الناس هناك يثملون بتناولهم الجعة أو بعض النبيذ الأحمر الفاخر برغم اعتقادي أن النبيذ الأحمر الفاخر لا يتردد سوى على أفواه الأغنياء.. كنت سأقول لكَ وأنا في غيبوبة الثمالة أنني أحببتُك من صميم قلبي ورأيتُ فيكَ القطعة التائهة من رمز الحياة القديم كأساطير الخلود القديمة، وأنه من سيجد تلك القطعة التائهة سيمتلك الحياة الأبدية السعيدة، فبرؤيتك أصبحت الحياة ملكي لأول مرة وشعرتُ أنني أميرة متوجة بحبك يا غلام..

ثم تستميلني الإفاقة من ثملي وأرى أننا في البلاد القريبة من الشمس مرتديين تلك القطع القصيرة، وبشرتنا داكنة بعض الشيء عما كنا عليه، وحين محاولتي التي باءت بالفشل كي أصعد تلك الأشجار الطويلة لإحضار جوز الهند الصلب تنزلق قدمي رغمًا عني لأهبط على أيدي قوية تحملني وتحميني من غضب هبوطي الذي كان يود أن يودي بحياتي، كان يجول بيننا روح الاستغراب مستنفرة ما يحدث في تلك الثواني التي تحمل فيها يداك جسدي الصغير الضعيف الذي لا يكاد يتجاوز الخمسين كيلوجرام ولكن ما يثقله هو الخوف والرهبة التي تملكتني لحد الرهينة، حينها فقط تشجعت للنظر بعينيك لأرى تلك الأعين السوداء الباعثة على الحب، لا أدري كيف ولكنني حينها شعرتُ وكأنني وودتُ أن احتضنك لأخبرك بمدى وقوع روحي في أسر عينيك اللتين لم ينفكا يأسرانني حتى الأن أقسم لكَ، والأن أخُط بخيالي على الورقة بأنك ترقدني على تلك الحشائش القصيرة الناعمة بهدوء لتقول لي في منتهى الصوت الفاتن " لا تخافي، فأنا الضوء المبعوث لكِ كهدية من الإله على إنجازاتك ومحاولاتك لإحضار جوز الهند بهذا الجسد قليل الحيلة " ثم ابتسمت ورحلت تاركًا ضوءً يشع في كل الأنحاء..

وحين إغماض عيناي برهة كي أستجمع قوايّ لأنهض مرة أخرى وأبحثُ عنك وجدت جسدي يهيم في البحر، لا.. لا، بل كان يتمشى على البحر نعم كما أقول لكَ الأن.. وددتُ أن أملك البحر وقوته وأكون أميرة البحر وأدعو نفسي بـ" مير"

وهي كلمة بحر باللاتينية.. حين وجودي متمشية على سطحه كما وكأنني أتمشى في رواق منزلي انتابتني القشعريرة قليلًا وهذه القشعريرة تأتيني فقط حين يقوم أحد بدغدغة قدمي من أسفل، فهبطتُ بنظري لأسفل لأجدك جثة هامدة تحت سطح الماء مباشرة ولكن ظهرك هو من يلامس ويداعب أسفل قدمي، فلوحتُ بيداي بحركة قد فهمها البحر وهو أن يحملك من يمكث أسفلي ليرفعك قليلًا في الهواء ويشكل سريرًا مريحًا لتخمد جسدك المليء بالعضلات عليه، لم تكن تتنفس وكاد قلبك يتوقف عن النبض فلم يكن أمامي سوى شيئًا واحدًا فقط وهو ما وافقني عليه البحر أيضًا.. أعذرني لو قَبلتُك دون أخذ التصريح من شفتيك قبلها ولكنها كانت قبلة الحياة، كانت تلك القبلة التي ستحييك.. أعترف بأنني لم أدخل لجسدك الهواء بل أدخلته حبًّا جمًا لم ولن يستطيع أحدٌ أن يرزقك إيّاه مهما حييتُ..

حينها شهقت بشكل كبير وكأنك طفل حديث الولادة يصرخ صرخته الأولى حتى يدخل الهواء لتلك الرئتين الرقيقتين.. وددتُ لو نظرت لي نظرة تريد فيها مني شرح ما حدث معكَ ولكنك كنت متسرعًا أكثر مني فلمعت عيناك بشيء لم أفهمه وحينها أنهضتك أمواج البحر لتطل بهيئتك العظيمة وتتوج رأسك بتاج من الماء ولكنه صلبًا إلى حد قليل، فتضحك وتقول لي "ما هذا؟ " وأخبرك

" إنه البحر قد اختارك رغمًا عني وعنك لتكمل حياتك معي" ..

هل تعلم كم من رغبة اجتاحتني الأن وأنا اخط تلك العبارات لكَ؟

هل لكَ أن تأتيني بنبيذ أحمر معه جوز الهند وتلتقيني عند البحر لأنهي كل شيء يا مالك القلب والروح! "

زفرت موج بشدة حين انتهت من كتابة ذلك الخطاب لمالك بالرغم من أنه لا يحمل معاني الخطاب وأنها كانت من الممكن أن تراسله إلكترونيًا ولكنها رفضت وستقوم بإرساله عبر البريد..

وكيف لها لا ترفض وهي مالكة الكتاب والورق والحبر!

بعد لحظات من الهيام النفسي التي كانت تخوضه في هذا الصباح استسلمت لنداءات والدتها المتكررة لتناول الفطور معها ومع أختها

- حسنًا يا أمي سآتي

- احضري معكِ حقيبتك لنذهب للسوق لشراء بعض مستلزمات المنزل

- موجٌ بعد وقوفها مستسلمة أمام والدتها: ولمَ أنا ؟

- هنا وكان الطعام يكاد يدخل فمها: لأنك الصغرى

- ولكنني يجب عليّ تنفيذ بعض الأمور

- فريدة : أمور!!

ما بكِ يا صغيرتي لا يروقني حالكِ، انظري لتلك البقع السوداء التي احتلت وجهك! جميعُنا حزينون على فراق والدك ولكن لا يجب أن تدعي نفسك هكذا وتتركي الموت يسعد بكِ كوجبة هنيئة له.

- موجٌ: حينها سيلعنني الموت أنني دنستُ قدسيته

- فريدة: ما تلك التفاهات!!

- هنا: اتركيها لجنونها يا أمي، سآتي أنا معكِ حتى لا تلفت هي الأنظار حولها بهذا المنظر المريع

- موجٌ باستسلام غريب: أحبكما كثيرًا.

تركت والدتها وأختها في حيرة وغموض يجتاح صدريهما لما يحدث معها ولكنها النهاية..

*****

صباحٌ آخر في غرفة أخرى ولكنه هو ذاك الصباح الحزين..

كان جسده يرفض الاستيقاظ وكأنه كان متحررًا عند النوم ولكن عند النهوض من فراشه سيجعله يخوض جولة يومية في سجن الحياة العبثية..

بدأ يتحرك وكأن قدميه مكبلان بالسلاسل الحديدية ولكنه يكابد الألم الداخلي قبل الخارجي حتى ينهض ويذهب ليجالس والدته قليلًا قبل الخروج وإنهاء كل ما يجري في حياته ومعرفة كل شفرات الغموض.

خرج لغرفة المعيشة بعد مكابدة دامت خمس عشرة دقيقة في غرفته الفوضاوية متبعثرة الأثاث والملابس وكل شيء، أقبل إلى المطبخ ليرى والدته تعد فطور الصباح الذي اعتاد هو ووالده على تناوله قبل الذهاب للجريدة سويًا.. ولكنها هذه المرة تعده بدون روح طاهرة تدور في المكان، حيث كانت تأسرها روح الحزن والألم..

- مقبلًا رأسها: صباح الخير والدتي

- صباح الخير عزيزي

- بدر محاولًا جعلها تتحدث: ما الذي تعدينه ؟

- عزة في كلل: شطائر الجبن المعتادة صباحًا

- بدر: ما رأيك لو نتناول الغداء أو العشاء خارجًا الليلة؟

- عزة: ووالدك؟ هل سيأتي معنا؟ هل حدثته؟

كل تلك التساؤلات كانت تثير رأس بدر بالكثير من الذكريات والأفكار فكادت أن تنفجر وتفرغ كل ما بها من حديث وألم وتأوهات عميقة، ولكنه حاول مجاهدًا كتم كل شيء فقط من أجل والدته؛ فهي لا تستحق ذلك الألم القابع في صدره.

- بدر مبتسمًا: سأكرر طلبي الأن يا عزيزتي، هل لنا تناول الغداء أو العشاء خارجًا الليلة؟

- أين أمجد يا بدر حدثني، أرجوك!

- بدر وهو يكتم حديثه: دعينا من والدي الأن يا أمي أرجوكِ، أنا فقط أود الانفراد بكِ أنتِ يا ملكتي

- عزة في تضجر: حسنًا وأنا لن أجيبك

قالت الكلمات السابقة تاركةً إيّاه في المطبخ بمفرده وسط نيران الغضب تشعل كل وريد بداخله ولكن طاقة احتماله قد فاقت طاقة أي شخص.. وكيف له لا يتحمل تلك الأشياء السيئة وهو تحمل فقدان أحب شيء لديه.. نوران؟!

ترك والدته لتهدأ قليلًا في غرفتها وتناول هو طعامه مسرعًا ليتفقد أمر تلك الرسالة التي أتته بالأمس، بل التي أتته منذ ساعتين تقريبًا لعدم نومه.. ذهب إلى حوض استحمامه ليترك الفرصة للماء أن تزيل كل الهموم التي كونت طبقة من الصدأ على روحه، انتهى من استحمامه وقام بتبديل ملابسه حين أتته مكالمة من الشرطة

- ريفير: مرحبًا سيدي

- بدر: مرحبًا

- ريفير: لديّ أنباء سيئة سيدي أعذرني، لم نجد للقاتل أي أثار فقد قام بمهمته على أكمل وجه، حتى سلاح الجريمة لم نجد عليه أثار للبصمات سوى أثار والدك ومازلنا نبحث عن جثة القتيل

- بدر: لا يهمني الأن سوى والدتي، لا يصلها الخبر مهما كانت الظروف حتى ننتهي من القضية، هل ممكن ذلك ؟

- ريفير: كما تحب سيد بدر

- بدر: هل هناك شيء أخر سيُقام في القضية أم أنكم ستستسلمون ؟

- ريفير: متبقي لنا أن نكمل التحقيق مع العاملين بالجريدة بعد قليل

- بدر: ستجدني في الجريدة في غضون دقائق قليلة

- ريفير: في الانتظار

أغلق كلاهما الهاتف وفي قلبهما شيء محير وقلق تجاه الأخر..

*****

تهدأ الأجواء على الشاطئ ولا يوجد كثير من الأناس الذين يشتهون البحر لذا فهو جالسٌ بدون عمل حتى يجد رهينة قد أخذها البحر ويذهب هو لينقذها فهو المنقذ.

ممسكًا فنجانًا كبيرًا بعض الشيء من القهوة فقد دامت عليه عدة أيام لم ينم فيها سوى ساعتين تقريبًا وذلك لإنهاء الأعمال التي كُلف بها، حين أتته رسالة صوتية منها

"تفقد بريدك، فهناك خطابٌ لكَ عزيزي، وودتُ فقط أن أطمئنك على حالي الأن لأنه.."

انتهت الرسالة الصوتية وفي قلبه قد أنبث الكثير من القلق والخوف، فهو عليمٌ بالفترة العصيبة التي تمر بها الأن ولكنه رغمًا عن أنفه يشعر بشيء سيء سيحدث حتى وهو يعلم جيدًا أنها دائمًا على صواب، ولكن نبرات الصوت تخللت قلبه وتشبثت بكل شريان به لتخبره بأنها ستفارقه قريبًا دون سابق إنذار..

- قال لنفسه: لن أدع مكروه يصيبك ولتكن اللعنة على العالم وعلى أي شيء، لا تقلقي سأكون أنا المتضرر..

*****

كانت الشرطة في تستقبال العاملين بالجريدة مما أدخل في قلوبهم الذعر وجلسوا يتهامسون بين بعضهم البعض

- لمَ الشرطة هنا؟

- من المؤكد أنهم سيقبضون على أمجد..

- بالطبع بلغ الابن عن والده لسوء تربيته..

وتكاثرت الأقاويل حول مجيء الشرطة، وعدم بوح الشرطة لسبب مجيئها قد زادت الأقاويل والتهامسات وذلك لأنهم ينتظرون حضور بدر.

- ريفير: صباح الخير سيدي

- بدر: هل بدأتم التحقيق ؟

- ريفير: لا، كنا في انتظار حضورك حتى تُهيء لهم الخبر لأنهم من الواضح القلق يسود عليهم

- بدر: حسنًا، أمهلني دقيقة

قام بدر بتنبيه كل الحضور له حتى يصدم مسامعهم بخبر مقتل أمجد، ولكنه تردد قليلًا واحمرّت عيناه بعض الشيء تهيئةً لنزول تلك القطرات المالحة منها

- صباح الخير زملائي، أود منكم التعاون مع الشرطة اليوم فيما سيطلبانه منكم والتحقيق الذي سيتم هنا اليوم وهذا لأن ..لأن..

لم يستطع إكمال جملته وخرج من الجريدة واقفًا أمام بابها يبكي كثيرًا متذكرًا كل الآلام التي انتابته في حياة والده

ومماته، لم يفق من دموعه المنهمرة سوى على رؤيته لمنظر الغابة التي أصبحت موحشة بعد أن كانت غابة العشق له.. كان يراها، كان يراها تمتد على ساقه وتنتفض بردًا وتلفظ أخر أنفاسها مختلطة بحروف أحب كلمة كان يود أن يسمعها بنبرتها هي فقط لا سواها، مما جعله يزيد في البكاء لدرجة قد سمعها كل من بالداخل

- ريفير: أعذروه جميعًا، فقد تم قتل والده بالأمس

- ضيّ: أمجد!!!

- ريفير منتبهًا أنها الوحيدة التي لم تقل السيد أمجد: نعم ياسيدتي أمجد.. هل لنا أن نبدأ التحقيق الأن مع كل منكم، سوف نأخذ منكم بعض الإجابات لأسئلتنا لا أكثر ولا أقل

- ضيّ: هل نحن تحت الاتهام؟!

- ريفير: لا يا سيدتي إطلاقًا، إنها فقط إجراءات قانونية

بدأ الجميع يدخل واحدًا تلو الأخر في غرفة بالجريدة قد تم تخصيصها من الشرطة لإقامة التحقيق بها لحين يتم استدعائهم مرة أخرى للقسم.. قد تغيبت عن هذا التحقيق موج ولينا ولكن تم الاتصال بهما وجعلهما يأتيان ضروريًا للجريدة مبكرًا، بدون معرفة الشرطة أو غيرها بوضع لينا الذي سيستغربه الكثير من زملائه، بل الكل..

الأولى

- مرحبًا أنسة موج

- مرحبًا سيدي

- ما علاقتك بالسيد أمجد؟

- مديري بالعمل

- فقط؟

- نعم، هل عندك غير ذلك؟

- أنا هنا من يسأل

- عذرًا..

- وهل له علاقة بعائلتك؟

- لا يا سيدي، فإن والدايّ لم يستفسرا حول رب عملي فهما يعلمان مدى اختياراتي الصائبة

- ما علاقتك بالسيد المدعو حلمي؟

- اضطربت موج كثيرًا لذكر والدها: ....

- لمَ الصمت سيدتي؟

- سؤالك لم يأتِ على بالي

- حسنًا سأكرره، ما علاقتك بالسيد حلمي؟

- هو والدي سيدي الشرطي

- إذن، السيد أمجد له علاقة بعائلتك

- كيف يكون ذلك!!

- حسنًا انتهى وقتك سيدتي، هيّا للخارج

- ولكن...

- انتهى وقتك

خرجت من الغرفة وعقلها يستحضر كل شيء ولكنها لا تتذكر أي حدث، وكأنها تصاب بانفصام الشخصية فتعيش بروحين في جسد واحد لا تعلم أي روح عن شقيقتها شيء..

الثانية

- ما علاقتك بالسيد أمجد؟

- رئيسي بالعمل

- هل كانت هناك علاقة غرامية تجمعكما؟

- كانت من طرف واحد سيدي وهو أنا، كنت أرى فيه والدي المبتعد عني ولكنني قد علمتُ خطئي وقد كان السيد أمجد حليمًا معي

- من طرف واحد إذًا!!

- شعرت لينا ببعض العرق يُنزف من جبهتها في داخلها قبل خروجه لنور الحياة: نعم سيدي

- حسنًا لينا، سندعكِ تذهبين مع والدك السيد شاكر الماثل أمام الغرفة بالخارج منتظرك، ولكننا إذ احتجنا لكِ ستأتين لنا، أليس كذلك؟

- بالطبع.. بالطبع

- أين زوجك؟

- ....

- حسنًا سيدة لينا قد انتهى وقتك، تفضلي بالخروج

انتهت لينا من استجوابها وكأنها كان يتم استجوابها من قِبل ملكيّ الموت لا مجرد محققين شرطيين، ارتمت في حضن والدها تستنشق منه الاطمئنان والحماية التي افتقدتها كثيرًا

- هل جرت الأمور كما خططنا لها؟

- نعم ولكنه قال أنه سيستدعيني مجددًا لاحقًا

- لا تقلقي، سيكون معنا المحامي ونفوذي

- أشكرك يا أبي

- خوفك هذا بسببي وسوف أصحح كل جُرمي في حقكِ، ولكنني أود التحدث إلى صديقتك، أين هي؟

- هي تلك الفتاة المستندة على الحائط ذات الشعر الأحمر الشفقي

- حسنًا سأذهب إليها وأنتِ انتظريني في السيارة بالخارج

في خطواته لموج كانت هي في عالم آخر تبحث فيه عن تفسير تلك الأقاويل العبثية التي لا تنفك تفكر بها، أفاقها من تلك الهواجس المحيطة بها ولكن بعد محاولات عدة في ذلك

- أحم.. أنسة موج

- مرحبًا سيدي

- أعرفك بنفسي، أنا شاكر والد لينا

- مرحبًا بكَ

- أود الاطمئنان على فتاتي

- اطمئن سيدي، فهي في مكان آمن ويرعاها أصدقاءٌ لي هناك

- هل من أحد غيرك يعلم بشأن زواجها؟

- لا يوجد غيري

- برأيك ماذا نفعل؟

- أنصحك سيد شاكر ألا تعلن زواجها من ذاك المدعو أمجد

- لمَ؟

- حتى لا يصيبها ويصيب صغيرها اللعنة

- لعنة ماذا!!!

لم تهتم موج له بعدها وتركت المكان وكأنها تركت الشياطين تعبث مع بعضها البعض وذهبت هي لملاكها الحنون..

*****

- تركتُ العبث وهممتُ إليكَ لعلي أجد مكاني..

ترددت من فمها تلك الكلمات وهي جالسة على الشاطئ تنظر إلى أمواجه بين الحين والأخر منتظرة إيّاه حتى يأتي كما طلبت منه في خطابها المليء بالحب والعدم والأمل والخوف والشغف والقلق.. وكأنه قطعة بلاغية تحتوي على الكلمة وتضادها لكي تؤكد له مدى احتياجها له.

لأول مرة يرى مالك فيها موجٌ وهي مستسلمة للطبيعة، وهي مؤمنة بالقدر غير حانقة عليه، فقد كانت شبه مغمضة الأعين وردائها الواسع مفروش على الرمال ليزن لها المكان لتظهر هي فيه وكأنها لؤلؤة داخل صدفة نادرة لا يحصل عليها سوى الذي يعاني الكثير من المخاطر والأهوال ليملكها بين

يديه.. لم يبد أي فعل يدل على استغرابه وحيرته من كلامها له فاكتفى بالصمت والجلوس بجوارها

- أَلن تحادثني؟

- أريد تهيئة الصفاء لكِ

- أترى هذا الشيء؟

كانت تشاور له على الكتاب الذي يسكن أحضانها ولكنها ساخطة عليه كل السخط وكأنه صغيرها الرضيع الذي اقترابه منها يصيبها بالسرطان، فلا هي قادرة على إبعاد صغيرها عن أحضانها ويتغلغل الخوف بداخلها من إصابتها بالمرض والموت الذي سيودي بها بسببه..

- هو كتابك..

- لمَ صدقتني!

- عيناك يا موجٌ.. عيناكِ كلها صدق وحقيقة لا يفهمها ولا يصدقها سوى الذي يريد أن يصدقها، الحقيقة في عالمنا الأن أصبحت كالجُرم إن تتبعناها اقترفنا الخطأ وإن أهملناها لا نعلم أسنحظى بالحياة المريحة أم الضمير المُعذِب!

- ولكنني خفت أن أخبر أحدًا بالأمر ولكن...

- أكملي

- لمَ أخبرتك أنت فقط؟ لا أدري ولا أشعر أن هذه حياتي التي كنت عليها ولا هذه مبادئي التي كبرت عليها.. أتفهمني؟

- لا أفهمك

- .....

- لا أفهمكِ بل أشعر بكِ

- وهل هناك منجى من كل هذا العبث؟

- لا أدري ولكنني معكِ ولا حياة بدونك ولن أدعك تكملين بمفردك

- وما ذنبك أن تجرم معي في هذه البشاعة!

- لم يكن لحياتي معنى قبلك.. لم أشعر بكوني محظوظًا لهذه الدرجة إلى أن قابلتك وأسرتني روحك وكبلني وجهك بسلاسله

- دعني أعلمك فقط أنك ستتألم حين تفقدني

- ولمَ أفقدكِ!!

- من يحمي سيصبح المتضرر وجاء وقتي

- سأكون حاميكِ

- لن أسمح بشيء هزلي كهذا

- هذه الأرض مبتذلة إذا لم تتواجدي بها

- أرجوك دعني أكمل الطريق بمفردي

- ولمَ الدموع الأن!!

- والدي

- ما به!

- أشعر بشيء خفيٍّ حيال أمره ويؤلمني بشدة

- ما رأي كتابكِ في هذا؟

- لم أحدثه بعد

- أتودين محادثته الأن؟

- لا توجد دموع ولا تأتي الهواجس

- تودين البكاء؟

- نعم، ولكن أدمعي ترفض النزول وكأنها متفقة مع الكتاب

- سامحيني على ما سأقوله إذًا

- ما قصدك!!

- كنتِ وما زلتِ وحيدة، فتاة ضعيفة لا تنفك تجلس محتضنة وسادتها في الليل الدامس وتبكي حتى لا يسمعها من في البيت ويلومونها على إزعاجهم، لا زلتِ تخافين الاستيقاظ صباحًا حتى لا تتكرر معكِ مواقف الخذلان واليأس نفسها، تعتقدين أنكِ تحبينني ولكن الحقيقة هو أنكِ ضرر عليّ وأنكِ سبب فنائي في هذا العالم..

سيصبح مصيرنا مصير نوران وبدر أليس كذلك!! ولكن من سيموت في أحضان الآخر!

- كُف عن ذلك، كُف..

- لن أتوقف.. والدك مصيره غامض وصديقتك في انتظار مستقبل محفوف بالمخاطر، وأختك تكرهك ووالدتك غير آبهةٍ بكِ...

- كف عن ذاااللك

رددت موج الكلمات السابقة بصوت أجش غليظ وكأن الأرض قد نبت منها وحش مميت سيلتهم كل من عليها من شدة غضبه وحزنه، نهضت من مكانها وهي تصرخ بشدة ومالك يحاول التشبث بها وبالكتاب حين أتت الرياح الهائجة وتصاعدت أمواج البحر مستنفرة ما يحدث وكأن الساعة قد حان موقتها.. تغيرت الأماكن ولثاني مرة الأحداث تتوالى عليها وهي بصحبة أحد غير كتابها فقد دخل مالك عالمها المظلم الذي لم يستطع خياله أن يصل إليه حينما كانت تحدثه عما تراه..

- أين نحن؟

- جدتي لن تأتي طالما لم أرتدي الثوب الأبيض حتى الأن

- أي ثوب!

- ذاك الثوب والشال الذي حدثتك عنهما وأنني متيقنة أنهما سبب ما يحدث الأن معي

- ألا تتذكري شيء؟

- عند خلعهما لا أتذكر أين كنت ولا ماذا فعلت

- وما مصيرنا الأن في هذا الظلام؟

- لا تسأل، فأنت من أتى بنا إلى هنا ولا أدري أهو خطر عليكَ أم لا

- حسنًا.. حسنًا، سأكف عن الحديث ولكن الأمر مهيبٌ بالنسبة لي

- لقد اعتدتُ عليه

- موجٌ!

- ماذا؟

- لقد ارتديتِ الثوب والشال، انظري لحالك الأن

لم تكن موج منتبهة لما يحدث لردائها فقد انشغلت بالحديث مع مالك وتهدئة خوفه، قد ألبستها الرياح ثوبها استعدادًا لخوض جولتها التي تكاد تكون الأخيرة، لا نعلم حتى الأن!

- لمَ جلبته معكِ؟

- لم أرد ذلك ولكن الرياح من أحضرته رغمًا عني

- كما فعلت في المرة السابقة!

- المرة السابقة أنا التي أمرتهم أن يجلبوه ليرى بنفسه، ولم أحضره أنا بل الثوب

- أخبرتكِ بأن تتركيهما وهما سيحلان الأمر

- لم يحلا شيئًا؛ بل أشعر بأنني قد أُقحمتُ في ذنب كبير

- وهل تعلميه؟

- أنا! موجٌ بدون الشال لا تفقه شيئًا عما حدث وما سيحدث، فليس من العدل أن تتحكموا في حياتي هكذا

- مهمة الكتاب إلى الأن قد انتهت وما من شيء سيفعله حاليًا

- ولكن المبهم؟

- لا تبحثي عن الماضي

- سؤال واحد فقط، لمَ أُقحم والدي في هذا؟

- حلمي ...

- أجيبيني جدتي

- قلتُ لكِ أن الخداع يأتي من أقرب الأقربين

- ولكن أبي لم يخدعني

- خدعنا جميعًا، وغضب الكتاب عليه

- ماذا فعل؟

- كان يريد سرقته وإبعاده عنكِ حتى لا تعلمي حقيقته التي زيّفها لكم

- حقيقة أبي أنه رجلٌ لن يتكرر في هذا الزمن

- حقيقته زَيّف

- كيف تقولين هذا على ابنك!!

-ألن تسألي نفسك كيف توفى والدك!!

- في حادث سيارة كما أخبرتنا الشرطة

-وكيف لحادث سيارة أن تطلق الرصاص في قلب والدك!

الفصل الثاني عشر

(فصل الفلاش باك)

الرجوع بالزمن لأحداث ذاك اليوم المشئوم الذي اجتمع فيه أمجد مع صديقه الغامض في انتظار حضور شاكر لتنفيذ خطة أمجد وهي تهديده وابتزازه لتوقيع الصفقة أو قتله.

حين كان الرجلان في انتظار مجيء ثالثهم، آتى لهما ما لم يجوب على الخاطر، فترددت عليهما غُبرٌ زرق وتيارات هواء عاصفة وكأن الأرض تتهيأ لمجيء كارثة كونية، وحينها ظهر ذلك الكائن المُلثم برداء غامض ولا يظهر من جسمه شيء يدل على هيئته فارتبك أمجد وارتعش خوفًا من أن يكون هناك شخص قد علم بخطتهما وبُعثَ لقتله..

- من أنت ؟ تحدث..

قالها أمجد مرتعش الصوت، مبتعدًا بضع خطوات عنه

- ابتعد عنه وارحل وإلا هلكتك

قالتها حينها موج من أسفل ردائها وشالها ولكن الصوت لم يكن بصوت أنثى وإنما كان صوتًا مخيفًا بصدى صوت مرعب يبعث الرعب في أجساد كل من سمعه

- قلت لكَ من أنت؟ وإلا قتلتك

كشف أمجد عن سلاحه من أسفل إبطه حيث كان ينعم بهدوء ونوم سالم في حافظته حتى أيقظه من نومه وجعله يستعد لينفذ ما صُنع له.

كان ذلك الرجل الغامض هو حلمي، كان هو صديق أمجد في كل أعماله غير المشروعة والإجرامية ولم يفكر لحظة أن يبتعد عنه حيث كان هو بمثابة العقل المدبر أحيانًا في بعض عملياتهما القبيحة.. ظل يبحث حلمي عن أي شيء يبين له من هو ذاك الشخص الماثل أمامهما والمحاولة في التخلص منه قبل مجيء شاكر الذي يُمَثل لهما صفقة العمر الذي سيخرجون منها بمعدل مالي لا بأس به تكريمًا لهما على انجازاتهما في مجال النصب والاحتيال المخفي، لكنه لم يجد شيئًا حيث كان الرداء يغطي موج بشكل مثالي ويحميها من الغرباء أن يعرفوا ماهيتها..

- انتظر لحظة يا أمجد.. ماذا تريد منا أيها الكائن ؟

- أريد كشف الحقيقة وألا أسمح لكما بإيذاء شخص بعد الأن

- حقيقة ماذا؟

- حقيقة أنكما مثالٌ للحقراء الوضيعين الذين لا يشغل بالهما سوى المال وفقط وأي شيء آخر فهو في قمامة اهتماماتكما

- ومن أين لكَ بهذه المعلومات الموثوقة من وجهة نظرك!!

- من هذا

رفعت موج في تلك اللحظة كتابها مشيرة عليه وأنه هو كاشف كل شيء لها ولكن لم يهتم أمجد بذلك النقاش اللاشيء، عديم المنفعة من وجهة نظره فوضع سبابته على الزناد مهيئًا نفسه على إطلاق تلك الرصاصة التي ستريحه من توتر الأعصاب الذي أُدخل فيه فهَم قائلًا

- أي كتاب أطفال هذا!! نحن لا نمزح هنا سأقتلك الأن

لم ينتبه أمجد لحلمي الذي شاور له بيده محاولًا منعه من تلك الجريمة التي سيقع بها، لا لكونها جريمة قتل بل لكونها جريمة قتل ابنة صديقه، عرفها حلمي حينما رفعت يديها بالكتاب فهو يعلم هذا الكتاب جيدًا، يعلم أنه الذي سيسبب دماره وهلاكه منذ أن بدأت تراود فتاته تلك الهواجس والأشياء التي من المستحيل أن يصدقها العقل البشري.. وكأن في تلك اللحظة يتمنى أن يتوقف الزمن حتى يعطي الفرصة لعقله أن يتنفس بتريثٍ ليفهم ما يدور حوله ويفهم أن من يحاول تهديده هي ابنته وأنها الأن على حافة الموت إن لم يتحرك ليوقف تلك الرصاصة التي سرعتها تعادل سرعته آلاف الأمثال...

حين سماعه استعداد الأصبع وجلوسه على الزناد لإطلاق الرصاصة لم يفكر بتشغيل فمه او يده لإيقاف أمجد، بل بكل ما وُهِب من سرعة هرول نحو موجٌ ليبعدها عن ناظري أمجد الذي يشع غضبًا وخوفًا منها أن تنهي حياته فقرر هو أن ينهيها، وشاء له القدر أن يصبح أسرع من الرصاصة أو أن تكون الرصاصة أكثر رحمة ولينًا منه وتجعله ينقذ ابنته

الصغرى فوقف أمامها في اللحظة التي تسير فيها الرصاصة لتقبع في صدر موج وقبل أن يلفظ أخر أحرف منه معتذرًا لها عن تلك الحقيقة البشعة التي وجدته عليها اختار هو أن تهبط الرصاصة في ميناء صدره لا صدرها.. انتهى ولم يكن يود أبدًا أن تراه عزيزته في هذا الموقف بعد أن كانت تراه مثلها الأعلى الذي لا ولن يوجد مثله على سطح الأرض وكأنه أخر الرجال في هذا الكوكب.!

في تلك اللحظة فقط قرر الزمن أن يتوقف ويترك مساحة للفتاة أن تودع والدها في حزن صامت وغموض قاتل، سقطت موج حاملة على يديها حلمي الذي لم يستطع الوقوف لثوانٍ نتيجة بركة الدماء التي تكونت على ملابسه لإشراف الرصاصة في قلبه..

سقطت على الأرض ومن فوقها والدها خَجِلًا لا يعلم ماذا يقول لها

أيقول لها سامحيني ؟

أيقول لها لمَ أنتِ التي اختارك الزمن أن تراني على حقيقتي؟

أيقول لها أهربي؟

أيقول لها لا تتركيني وحيدًا؟

أيقول لها إنني خائفٌ الأن؟

أيقول لها أعذريني ولكنني أحبك مهما فعلت، أحبك مهما كنت مجرمًا، أحبك مهما بشعًا!

أغمض عينيه وفيها السيول تتهيأ للهبوط غاضبة على الكون ومستحقرة لصاحبها وكأنها ماء طاهر يُسكب في إناء قذر ليشربه شيطان من مارد.. كم أنه تشبيه مؤذٍ وقاسٍ !

بعد إطلاقه للرصاصة لم ينتبه لصديقه إلا حين هرولته في اتجاه الرصاصة جاهلًا السبب وحين وجد الأجواء تهدأ لتعود لطبيعتها والغبار انقشع والصفاء عم على المكان مجددًا ولكن شيئًا واحدًا هو المختلف أو الذي اختلف وهو صديقه، بعد أن كان واقفًا بجواره منتظرًا ثالثهما وجده طريحًا على الأرض بعيدًا عنه بعض الأقدام فقط ومن حوله سائل أحمر لزج قد تكاثر واتسع، فركض نحوه ووجده بمفرده ولا وجود لذلك الكائن اللعين ووجد أن رصاصته قد رقدت في صدر صديقه بدلًا من صدر ذاك اللعين فحاول إيقاظه والنهوض به ولكن دون جدوى

انهض معي يا حلمي

لم أقصدكَ يا صديقي سامحني

لن أستطيع تركك هنا فسيستدل عليّ حينها، سامحني على ما سأفعله

قام بحمله بعد محاولات عدة ليضعه في سيارته ويحكم تثبيته بربطه بحزام مقعده جيدًا وإغلاق الباب وقام بدفع سيارته مرارًا حتى اقتربت من حافة البحيرة وبدفعة أخرى سقطت

في البحيرة ولينعم بهدوء أسفل الماء بدلًا من ذلك العبث خارجها، ترك أمجد صديقه حينها وهو يتصل على شاكر يخبره بتغيير الموعد والمكان وألا يأتي للمكان الأن فلن يجد أحدًا وظل يردم تلك البركة التي تكونت على الثرى نتيجة الدم حتى أخفاها ومن ثم ترجل إلى سيارته يركبها ويبتعد بأقصى سرعة من المكان ليفكر ماذا سيفعل بعد تلك الصدمات التي توالت عليه محدثًا نفسه وهو يقود

- من ذلك اللعين!

- ما ذاك الكتاب!

- لمَ أنقذه حلمي!

وصل بعد مرور نصف ساعة إلى مقهى قريب من مدخل مدينته , فهو مقهى صغير ولكنه جيد البناء وقليل الزبائن المترددين عليه، دخل ليطلب بعض القهوة ويذهب للحمام ليسمح بالقليل من قطرات الماء بتهدئة ملامح وجهه القلقة التي تثير الشكوك حوله، قام بالاغتسال وأمسك ببعض المناديل الورقية ليمسح بها يديه ووجهه قائلًا

- اهدأ وتريث، أنت لم تفعل شيئًا، أنت لم تفعل شيئًا

ظل يردد الجملة السابقة مرارًا فهو يؤمن بمقولة

"من يكذب يجب أن يصدق نفسه حتى يصدقه الجميع "

- مرحبًا سيدي هل لي بمعرفة طلبك ؟

قالها النادل بهدوء له حين وجده شاردًا على طاولته لا ينتظر أحدًا ولم يقم بطلب شيء حتى الأن

- أنا لم أفعل شيئًا

رددها أمجد غير منتبه بوجود النادل أمامه مما جعله ينتفض مكانه ويترك بعض قطرات العرق الباردة تتدفق على جبينه بهدوء وسلاسة دون وجود عائقٍ يمنعها من الهبوط والتواجد

- ماذا سيدي!

استغرب النادل ما يردده وتملكت الشكوك حوله ولكنه لا يجرؤ على فعل شيء ضده

- لا شيء، لا تجادلني أيها الشاب فقط أذهب وأحضر لي كأسًا من الشاي واتركني بمفردي

قام أمجد بإخفاء تلك القطرات التي يعتبرها كاشفته ولحسن حظه أنه لم يشك فيه سوى شاب يعمل ليلًا ونهارًا ليأخذ مقابل عمله بعض النقود الكافية لمعيشته فقط ...

لم يكتف بما فعله ولحسن حظه مرة أخرى أن الأعمال الغير مشروعة تأتي بعلاقات غير قانونية وتصعد بمن يخوضها إلى أعالي النفوذ في البلاد حتى وإن كانت نفوذ باطنية ولكنها نفوذ تمكنه من إخفاء ما يريد كما فعل هو بالضبط، أمسك بهاتفه وطلب الشرطي المختص بمدينته ليخبره بأن هناك حادث قد صار قرب البحيرة وأن صاحب الحادث

موجود داخل سيارته ومن الواضح بأنه لم يستطع الخروج من سيارته قبل فوات الأوان ومات غرقًا ويجب عليه أن يتغاضى عن تلك الرصاصة التي في صدره وكأنه لا يرها إلا وأنه لن يكمل الكثير من الوقت في عمله ومن الممكن أن يكمل في عمله ليجد من سيكون قاتل أحد طفليه!

لم يجد الضابط الشرطي رد سوى

- أمرك سيدي، الرجل مات غريقًا وسيتم الدفن مباشرة دون إعطاء الجثة لأهلها

- تلميذٌ مطيعٌ يا چو

بعد مرور الوقت في منزل حلمي قد دار الحوار التالي كما أُمر چو بأن يخبر أهل المتوفي..

صمتوا جميعًا حين سمعوا رنين الهاتف يرن في أجواء البيت بأكمله ..

- موجٌ: سأرد على الهاتف

- مرحبًا نعم هذا منزل السيد حلمي

- .....

- ماذا تقول!!

- .....

- لاااا، أبيبي

*****

تذكرت حينها موج كل ما حدث في تلك الليلة المشئومة التي عادت فيها المنزل ووجدت نفسها متحاوطة بقطرات دماء من أعلى رأسها حتى أسفل أناملها دون علمها ما هذه الدماء ومن أين أتت ومن صاحبها!!

- ولكن كيف يا جدتي!

- تلك الحقيقة التي كان يزيفها ابني عليكم وعلى، حتى أنا لم أشك لحظة به

- كيف لم أعرف ما حدث حينها! حتى ما أخبرتني به الأن لا يتردد على بالي، لأعرفه ولو قليلًا

قالت ذلك وهي منحنية الرأس تدع دموعها تُذرف من غددها الدمعية وتتساقط على ردائها الذي يمتصها باستمرار وكأن ثوبها يريد أن يحمل حزنها بأكمله داخله فلا وسيلة لفعل شيء سوى أن يحتفظ بدموعها النقية لأن الأرض غير جديرة بها

- الثوب أراد مني ألا يجعلك تتذكرين ما حدث مع والدك حتى يطول الوقت نسبيًا الذي تجهلين فيه حقيقة والدك، وقد وافقته على ما طلبه مني لحبي لكِ وخوفي عليكِ من الصدمة

- هل أخفى الثوب عني شيئًا أخر؟

- لم يخف شيئًا غير ذلك، وذلك رأفةً بكِ

- ولكن هناك شيء أود معرفته

- أنتِ متعبة الأن، استريحي

- لن أستريح حتى أعلم من المظلوم الذي سيُسقى من كأس غير كأسه!!

- المشترك في الخطأ يجب أن يُسقى منه

- من هو!!

- هي نور يُضاء وهو بدر معتم قاتل في المكان المهدور في روح الحب...

*****

كان يتمشى في شوارع خلفية متداخلة، لا يدري إلى أين يذهب وماذا سيفعل في حياته فقد انطفأت بكل ما تحمله الكلمة ..

يركل ما يراه أمامه وأحيانًا يقوم بالصراخ لثوانٍ، قام بفتح قميصه إلى آخره ليدع نسمات الهواء الليلية الباردة تداعب شعيرات صدره لتتغلغل إلى رئتيه فينعم بالقليل من الصفاء والنقاء ولكنه شاء الضرر أن يسيطر عليه فقام بفتح علبة سجائره ليخرج منها واحدة ويشعلها وهي عند إشعالها وكأنها تصرخ تأبى أن تخرج وتموت بعيدة عن شقيقاتها وبعيدة عن بيتها الدافئ ولكن يديه كانت كالمحتل الذي هبط على منزل من يحتله فيخطف من بينهم أحدهم ويلقيه في الخارج يموت من الوحدة قبل موته من برودة الجو وهو يستلذ بهذا المنظر، حيث كان بدر يستلذ بذاك الدخان الصاعد من أسفل أنفه أو من بين شفتيه حتى أتت تلك المكالمة التي لطخت دخانه المستمر أمامه ليخرج متقطعًا من فمه..

- مرحبًا

- ....

- حسنًا سيد ريفير ستجدني أمامك في لحظات، إلى اللقاء

أغلق هاتفه وهو يتنفس بصعوبة وكأنه يودع أنفاسه وسيُحرم من حياته البائسة ومضجعه المبعثر وغرفته السوداوية وسجائره الرقيقة المؤنسة له محدثًا لها ببعض الضحكات الهمهمة

- لا تقلقي يا عزيزتي حتى إذ مُت سآخذك معي فلا غنى عنكِ في محياي ولا مماتي

ها قد وصل بدر أمام قسم الشرطة كما طُلب منه أن يحضر ولكنه كان يجهل ما سبب حضوره فأخذ نفس عميق قبل الولوج داخلًا

- أهلًا بدر

- مرحبًا سيدي

- هل لك فكرة عن سبب مجيئك!

- صراحةً لم أكلف نفسي بالتفكير، لذا فأنا لا أعلم السبب

- نعلم بنسبة تسعين بالمائة من القاتل

- القاتل!!

- نعم ، شكوكنا تلتف حول شخص واحد فقط

- هل لي أن أعرف من؟

- نعم، لأنني أتيت بكَ إلى هنا لأخبرك من هو

- مَن؟

- الآنسة ضيّ

- ضيّ!

- نعم ، هي

- كيف! من المستحيل

- انتابني الشك حين كنت أكمل التحقيق معها وتسائلتُ عن الخلافات المترددة حولها مع السيد أمجد في الآونة الأخيرة وأخبرتني أنها قد اشتركت رغمًا عنها في جريمة قتل تمت منذ حوالي سنتين والذي أرغمها على ذلك هو والدك

- جريمة قتل! ووالدي!!

- كانت جريمة قد خُططت ضد زميلتكما في الجريدة، الأنسة نوران و...

لم ينتظر بدر من المحقق أن يكمل حديثه وهَم خارجًا إلى الشارع ينفث فيه ضيقه وصدمته وذهوله، حين سماع اسمها لم يشعر بشيء أخر سوى بتلك الذكريات التي تنتابه من الفينة للأخرى وتذكرها وهي بين يديه تودعه بكل حب وآسى

- مساء الخير، ضيّ!

- ...

- أود مقابلتك بعد عشرة دقائق في الموقع الذي سأبعثه لكِ في رسالة إلكترونية

- .....

- إلى اللقاء

أنهى مكالمته وعاد بسيارة أجرة إلى منزله كيفما جاء وأحضر معه شيئًا، كان أول شيء يخطر على ذهنه بعد محادثته الصادمة مع الضابط...

*****

موقع ليس بسيء ولكن هجره يكمن في المأساة التي حدثت به..

أتت ضيّ بمزيج من الشاعر لا تدري لمَ طلب بدر محادثتها وفي هذا المكان مخصوص فهو مكان مقدس بالنسبة له! حدثت نفسها

- هل حدثته الشرطة فيما أخبرتهم به بخصوص والده وما كان بيننا!!

- هل يود معانقتي وإخباري بحبه لي!

لم يتردد على ذهنها الكثير من التساؤلات حيث وجدت من يتقدم نحوها في قميصٍ مفتوح نصفه وغير مهندم وتمتزج بخيوطه بعض قطرات العرق وكأن حامله كان في سباق للجري مثلًا، يحمل في يديه شيئًا ما يخفيه خلف ظهره وعلى ملامحه تُقام شعائر الغضب، وشعره يترك نفسه للهواء يتطاير برغم قصر طوله.. كان يتقدم ببطءٍ نحوها والسكون هو صديقهما الثالث

- مرحبًا بدر

- لمَ!!

- ماذا؟

- لمَ كرهتِها؟!!

- مَن!

تسائلت وهي على علمٍ بينٍ بمن يقصدها بدر ولكنها لم تجد طريقًا تسلكه غير المراوغة والتهرب

- نوران..

لم يتفوه بدر باسمها بهدوء بل صدر الاسم من بين شفتيه في صوت قاتل، مؤلم، غاضب، كفيل بأن يجعل أذن من يسمعه تتصبب دمًا من شدته وسخطه

- كرهتها لأنها أحبتك

- كيف لكِ أن تكرهيها!! إنها .. إنها ملاكٌ هابطٌ من السماء جاء ليزيل تلك اللعنة التي أحاطتنا، كيف يجوب بكِ الخاطر أن تكرهيها وأن تقتليها!!

- لم أقتلها أقسم لكَ.. أنا فقط كرهتها

- الأن تكذبي كما كذبتِ من قبل

- لا تظلمني فأنت لا تعلم ماذا حدث

- لا أريد أن أعلم شيئًا، كافٍ لي أنك من قتلتها بالتعاون مع ذاك اللعين

- أمجد هو من قتلها و...

- أنا من قتلت أمجد وجاء الوقت لأكمل الحق المهدور وأقتلك

أظهر ما كان يخفيه خلفه لتلمع في عينيه تلك السكين الحاد سنها والصغير طولها وكأنها صنعت خصيصًا لتلك الجرائم الصغيرة المخفية بين أشجار الغابات وظلام الليل وخوف قتيلها وغضب قاتلها..

تقدم أكثر نحوها وهي ترجع للوراء ولا تجد مهربًا غير ذلك، ظل يتقدم خطوة وهي ترجع تلك الخطوة حتى استوقف ذلك السكون والرعب الذي كان يدور حولهما صوتٌ ثالثٌ قد أتى ينتشلهما من زيّف حديثهما

- أنتظر يا بدر

التفت بدر لجانبه حيث أتى الصوت الثالث فيجد موج تتقدم مسرعةً نحوهما فيتطاير ثوبها الذي ترتديه ويطير شعرها من خلفها وكأنما هي تجري في اتجاه والشعر في الاتجاه

المضاد، فجماله لا يسمح له أن يرى ذلك العبث الذي يجري في هذا الوقت..

- انتظر!! أنتِ من تأمريني بذلك!

- نعم، أخبرك بالتمهل

قالتها موج وهي تتنفس بصعوبة إثر المجهود الذي بذلته لتأتي إليهما قبل فوات الأوان، ولكن لن يسمح لها الوقت بأن تأخذ حيزًا صغيرًا لتتنفس فيه وتركها تكمل المسيرة بالتحدث بعد الهرولة

- هي من قتلتها يا موج، مع ذلك الوغد وها أنا قد أخذت الحق منه وجاء دورها

- ولكنها لم تطلب منه قتلها

- لا أصدق ذلك، قد اعترفت بأنها كرهتها وكيف لها الجرأة تكره نوران!.. كيف!

- ثق بي يا بدر هي مشتركة في جُرم أمجد ولكنها رغمًا عنها

- لن أثق بأحد

- حسنًا أنت تثق بالكتاب صحيح!!

- نعم، فهو من أراني حقيقة والدي القذرة

نظرا لبعضهما البعض فتقلص الزمن وتتذكر هي الشال والثوب الداكن يحضران حزينان لعلمهما ما سيحدث ولكن تلبية لطلب موج وافقاها حين أمرتهم بأخذ بدر معها داخل الكتاب لتريه حقيقة والده أخذًا بأثر والدها، وكان بدر هو أول شخص يدخل معها الكتاب ليرى ما تراه هي، حين طلبت من مالك أن يهاتفه ويأمره بالحضور للإستاكوزة وإذا شعر منه بعدم القبول لجهله من هو يخبره بأن الأمر بخصوص نوران التي إذا سمع اسمها يهرول دون إدراك أو تساؤلات، وبالفعل حينها أتى بدر للإستاكوزة ووجد موج في حضرة مالك وقبل أن يلفظ أي حرف قالت له موج

- قبل أن تثار الكثير من التساؤلات داخلك سأخبرك أنا لمَ أحضرتك إلى هنا

- سيكون أفضل لي أن تسرعي بالحديث

- أتود أن تعرف من قتل نوران!

- قتلها!!!

- نعم قتلها، أنت من تناسى سبب موتها اعتقادًا منكَ أنه غير مُجدي أن تعلم شيئًا طالما لن ترجع للحياة

- وما زلت على اعتقادي

- ولكن من الحب أن تأخذ بثأر حبيبتك

- !!!

- تقدم وانظر معي بتمعن في هذا الكتاب وهو من سيريك الحقيقة

*الرجوع بالزمن كثيرًا نسبيًا لذلك اليوم الذي أقيمت فيه الحفلة المسائية التي طلب منها أن تحضرها معه *

لم يجد أمجد وسيلة تضمن له المال وإفساد علاقة ابنه بحبيبته سوى القتل، القتل وسيلة تسهل كل شيء ولن تؤذي أحدًا، فالقاتل سيتدبر أمر جريمته ولن يكشفه أحد وسيلتهم بعض الأموال نتيجة قتله والمقتول سينعم براحة أبدية بعيدة عن شر البشر وتكهناتهم.. قام بالذهاب لسيارته وإحضار مخدر قوي يستعمله في الأوقات الكالحة فهو من ضمن جرائمه ووضع منه جرعة زائدة عن الحد في كأس بها عصير لأنه على علم أن ذلك المخدر قاتل في زيادته وهي لن تقوى على تحمله، ذهب حاملًا كأس العصير وانتظرها بالقرب من المكان الذي يقف فيه بدر؛ حتى كانت هي قادمة نحوه فأوقفها

- مرحبًا عزيزتي نوران

- مرحبًا سيد أمجد

- ما رأيك بالحفلة؟

- أنها رائعة جدًا

- لمَ لا تحملين عصيرًا!!

- أنا فقط كنت...

- لا تكملي، قد جلبتُ لكِ هذا العصير فهو يليق بجمالك الساحر

- أشكرك سيدي

- هيّا، اشربي

- سأذهب أتناوله مع بدر حتى لا أتأخر عليه

- لا.. لا، لن تتأخري، لا تقلقي فقط أشربيه قبل أن يفقد برودته

- حسنًا سيدي

كانت نوران تشعر بقليل من القلق تجاه أمجد ولكن لم يكن بوسعها الهروب منه فهو سيدها بالعمل ووالد حبيبها فلم تجد مخرجًا من موقفها سوى تناول العصير إذًا

- جيدٌ جيدٌ عزيزتي، اكملي

- أأذهبُ الأن!

- بالطبع ستذهبين، الوداع

- إلى اللقاء سيدي

تركها تذهب بعد أن تأكد أنها تناولت الكأس بأكمله وأن المخدر سيعمل في غضون ساعة على الأقل

- أرأيت!

- والدي من قتلها، ولكن لمَ ؟

- هو قاتل محترف ويعمل في النصب الخفي وغيره من أعمال يُندى لها الجبين

- لا أعلم ماذا أفعل الأن

- أنا أعلم، يجب أن تأخذ بثأر حبيبتك وتدع روحها تستريح

- كيف؟

- اقتل أمجد

- أقتل!

- أوليس يستحق القتل أكثر من نوران المسكينة!

ظلت موجٌ توسوس كثيرًا في رأس بدر حتى تيقنت أنه سيفعل ما أمرته به، لم تكن تلك هي موجٌ بل كان ردائها الذي ترتديه هو من يتحكم بها شر تحكمٍ ويبث كل الغضب الذي داخلها إلى خارجها في شكل وساوس وهواجس وبعض

التحكمات، فقد كان غضب موت أبيها يلعنها في كل الأوقات وكان من الجدير أن تنتقم له، ليس موج من ستنتقم بل ثوبها الذي تلوث بدماء حلمي هو من سينتقم...

- كيف سأقتله!

- لا تقلق فقد كنت في غرفة السيد أمجد أبحث عنه ولكنني وجدت الخزنة المالية له مفتوحة قليلًا وكأنه فتحها ولكن ذهب يفعل شيئًا ما وسيعود لها، فحينها لمع في عيني هذا المسدس ومن الواضح أنه ملكٌ لوالدك ومرخصٌ أيضًا ،فستأخذه أنت الأن فهو ملكٌ لكَ لتنفذ انتقامك، ولا تتوتر فهو مليءٌ ببصمات والدك

- سأقتله، ولكن أمي!

- والدتك لن تعلم بشيء لا تقلق، يجب عليكَ قتله يا بدر فهو من حرمك من حبيبتك الوحيدة

- سأقتله.. سأقتله

تركته موجٌ يذهب لإعطاء أمجد ما يستحقه وظلت تتحدث هي مع مالك بعد عودتها من هواجسها المخيفة

- أسيقتله؟

- بالطبع

- لمَ التأكد هكذا يا موج!

- لأنه كان يحب بشدة وفقد حبيبته، ومن في مثل حالته سيتخلى عن عقله حتى يُرضي قلبه الثائر

- أهذه الحقيقة الكاملة التي جعلتِه يراها؟

- ليست كاملة ولكنها حقيقة، هيا اذهب خلفه حتى تتأكد أكثر

بالفعل ذهب مالك خلف بدر وتتبعه ووجده يذهب إلى الجريدة فظل منتظرًا هو أسفل المبنى حاملًا رداءً كثيفًا بيديه وحين سماع طلقة النار قد صدرت من المسدس صعد متخفيًا عن كاميرات المراقبة الموجودة في المحلات المجاورة وقام بسحب الجثة قليلًا وحملها ثم النزول أيضًا متخفيًا وذلك كله في سبيل أن يكون بجوارها ويساندها على خوض تجربتها الثقيلة المحملة بالكثير من المتاعب، كما أنه ليست المرة الأولى التي يساعدها فيها..

فمالك هو الجندي المجهول الذي كان يرسل تلك المقصوصات لمنازل الضحايا تارةً ومنازل المزيفين تارةً أخرى

وضع الجثة في السيارة التي جلبتها موج من إحدى صديقاتها متحججة بأنها ستسافر هي ووالدتها عدة أيام بها، ثم ذهب لأحد الهواتف العامة في الشارع وطلب الشرطة

- نعم سيدي معك الشرطة

- أود الإبلاغ عن جريمة قتل

- أين المكان بسرعة؟

- في جريدة "The light" القابعة على يسار الشارع الثالث من المدينة، ستجد جريمة القتل في الطابق الثاني، الغرفة الغربية

- حسنًا سيدي ولكن من أنتَ ؟.. سيدي!

أغلق الهاتف وذهب للمكان المتفق عليه الذي سيتقابل مع موج فيه وهي تلك البحيرة التي قُتل بجوارها والدها، لينهض بجثة أمجد ويلقيها في الماء لتأخذ نصيبها مما فعله بوالدها، وهكذا تم الأخذ بالثأر مرتين، لا مرة واحدة

ثأر نوران أولًا

وثأر حلمي يليها

- كتابي يخبرك بأن ضيّ بريئة من دم نوران

- كيف والشرطي أخبرني بأنها مشاركة فيها!

- أنت خرجت مهرولًا من عنده ولم تسمح لأذنيك بأن تسمع باقي الحوار

- وما هو باقيه؟

- أنها طلبت منه فقط أن يفرق بينكما لحبها لكَ ليس إلا، ولكنه هو من تسير في شراييِنه دماء الإجرام والقتل والجشع

- هي من سولت له

- هو الشيطان بكينونته

- وهي من جعلت المال شهوته

- الحب أعماها

- تجنبي أنتِ تلك الثرثرات التي لا فائدة منها، فستلاقي ما لاقاه هو

قام بدر بإبعاد موج محاولًا الوصول لضيّ التي كانت تتصبب عرقًا من الخوف ويرتفع داخلها معدل الأدرنالين حتى يكاد ينفجر من داخل أوردتها ولكن موج عادت إليه تحاول أخذ السكين منه بشدة حتى لا يقتلها ويلوث يديه بدماء بريئة لا ذنب لها سوى أن روحها عشقته وغارت عليه من أي روح أخرى، كانت محاولات أخذ السكين منه تبوء بالفشل لشدة غضبه وثورته وانفعاله فلم يدرك بنفسه سوى وهو يطعن موج في صدرها دون شعور منه بذلك حيث كانت الطعنة بالخطأ ولم يدرك أنه أدخل السكين بها سوى حين صمتت فجأة وسقطت على ركبتيها ورأى هو السائل الأحمر اللزج يغطي يده والصرخات تعالت من ضيَ والرياح ثارت والكتاب تطايرت صفحاته وكأنه يعوي كالذئب لما جرى لموج..

أسرعت ضيّ بالهرب حين وجدته في صدمته لما فعله، وظل بدر جالسًا بجوارها بين صدمته وحزنه وصمته...

الفصل الأخير

كان هو ذات المكان الذي فقد فيه حبيبته وأعاد الزمن نفس الأحداث بمختلف الضحايا ليفقد صديقته، فكانت موج مستلقية على الأرض فاقدة التنفس والحواس وكل شيء، فقط ما يزينها هو ثوبها الأسود الطويل الذي ترتديه وكأنها علمت ما سيحدث لها فارتدت الأسود تكريمًا لفقدانها وتعزية لذلك، ومن حولها تفترش الصفح فارغة حولها على شكل دائري وكأنها تنفذ طلاسم معينة ولم يتبقى سوى إشعال الشموع لتكتمل مراسم فك الطلسم كما في السحر الأسود.

كان يجلس وهو يهتز ويحرك رأسه للأمام وللوراء ولا ينفك يتحدث سوى بكلمة واحدة

" أفتقدك "

حتى استمعت له فأتت في هيئة ملائكية بيضاء طاهرة وجناحين يرفرفان خلفها لتهبط من السماء للأرض لتحدثه بذلك الصوت الأنثوي الناعم وتلك العيون الساحرة المغرية وكأن فتنة النساء جميعًا تمثلت فيها

- افتقدتني!!

انتفض من مكانه وهو يراها فظل يمسح على عينيه حتى يتبين إنها حقيقة لا خيال ولكنها لا تزال موجودة لم تختف، وظلت تكررّ ذات السؤال عليه

- افتقدتني!!

- لم أفتقد سواكِ

- بماذا تشعر ؟

- أشعر باللا شيء سواكِ، فقد أشعر بنبرة صوتك تحملني من على الأرض وتربت على كتفي وتخبرني بأنني لم أعد وحيدًا

- هذه هي الحقيقة يا عزيزي، أنت لم تعد وحيدًا

- هل ستتركينني مجددًا!!

فقد أخذت بثأرك ولا داعي لأن تحزني وتأتيني باكيةً مرة أخرى

- وها أنا الأن آتية لكَ كي آخذك معي

- إلى أين؟

- إلى مكان لا يفرقنا

- لا بشر!

- لا بشر

- لا أمجد!

- لا أمجد

- لا بكاء!

- لا بكاء

- لا هجر ووداع!!

- لا أي شيء قد يسبب تعاستنا يا عزيزي لا تقلق وثق بيّ

- هيَا إذًا

- ليس الأن

- متى إذًا؟

- اذهب للمنزل واستحم لتتهيأ للرحيل وودع والدتك ولا تنس أن تقول الحقيقة ومن ثم بأقمشة بيضاء أجعلها تزين رقبتك لتأتي بك إليّ

- أحبك

- سأنتظرك، إلى اللقاء

تركته نوران وهو كل ما يجوب بخاطره أن يسرع في العودة إلى المنزل ليتهيأ لرؤيتها متناسيًا أمر موج وماذا سيفعل بها..

فتح باب المنزل بهدوء وذهب إلى غرفته بهدوء أكثر حتى لا يوقظ والدته نظرًا لأن الوقت مبكرًا جدًا، دخل حمامه الخاص وخلع عنه ملابسه وجلس في حوض استحمامه

مبتسمًا سعيدًا ويترك الماء يهبط على جسده يتراقص هو الأخر من السعادة التي تغمر قلبه وظل يهمهم ببعض كلمات أغاني رومانسية رقيقة وبين الحين والأخر يردد اسمها ويبتسم حتى انتهى من استحمامه فنهض من الحوض وقام بلف منشفةٍ حول نصفه السفلي وعاد إلى غرفته ليقف أمام خزانة ملابسه ويختار أوسم قميص لديه ويزين رائحته بعطرٍ فاخرٍ، ووقف أمام مرآته ليمشط شعره الرقيق وهو مبتسم لأول مرة منذ رحيلها ومن ثم جلس على مكتبه واعتدل على كرسيه وبصوت خافت قال وهو يستعد للكتابة: "لنبدأ"..

" رسالة ذهابي لا انتحاري يا والدتي..

منذ كثير من الشهور لم أنعم بتلك السعادة التي تغمرني الأن وأنا أكتب هذه لرسالة لكِ.. تعلمين أنني أحبك أليس كذلك!

أحبك كثيرًا ولولا أنني أحبك لكنت أخبرتك بمقتل والدي، إن والدي مغيب عنا تلك الأيام السابقة لأنه قُتل ولكن لا تقلقي فهو قُتل على يدي أنا، أنا من قتلت السيد أمجد يا أمي، لا ضيّ، ولا غيرها.. أنا من جعلته يدفع ثمن كل شيء فعله خطأ في حقي وحق أناس كثيرة..

هو من قتل نوران، هو من حرمني منها مقابل المال، مقابل شهوته تجاه المال، هو من قتلني وسلب روحي مني، جعلني أستيقظ كل يومٍ أتصبب عرقًا على وسادتي وكنت أجهل أن هذا ليس بعرقٍ بل كانت دموعًا.. حتى في منامي كنت أبكي

عليها، قتلها وهو يعلم مدى حبي الشديد لها ولم يعط أي اهتمام بأنني ابنه الوحيد ولكن لا تبالي لذلك فقط انتهى كل شيء يا أمي..

أخبري الشرطة بأنني من قتلت والدي وأن دمائه لم تلوث يد أحدٍ غيري وذلك كان بكامل وعيي ولكن الشيء الذي اقترفته بالخطأ هو قتلي لموج في الغابة الصغيرة، أرجوكِ أخبري أهلها بأنني أعتذر بشدة لما اقترفته ولكنها كنوران؛ لا يجدر بها العيش هنا على هذه الأرض الملعونة حول هؤلاء البشر السفاحين ولكن بأنواع مختلفة.

ستجدين جثة والدي في ماء البحيرة كما أخبرتني موج في مقصوصتها، وستجدين موج في الغابة حزينة عليها كل الأشجار كحال فقدان نوران حينها، أطلب منكِ بأن تبيعي الجريدة لأي مشترٍ وخذي المال وسافري بعيدًا عن هذه المدينة التي لا تحمل في أعماقها سوى الألم لكِ عزيزتي.. لا تقلقي عليّ فإنني لن أتناول المهدئات مجددًا ولن أدخل في نوبات اكتئاب أيضًا، كل ذلك سيزول فأنا ذاهبٌ لها.. ذاهبٌ لنوران فأنتِ لا تعلمين أن نوران هي نور بدر، وأن بدر هو القمر المضيء لنوران.

الوداع أمي "

قام برش بعض قطرات العطر على رسالته وثنيها نصفين، وجعلها مستندة على كتاب ما على المكتب بشكل ظاهر لمن

يدخل الغرفة، ثم أحضر بعض الأقمشة المخصصة كرداء للوسائد وربطها مع بعضها وقام بربطها أعلى مروحة الغرفة وجهز نفسه للصعود بعض السنتيمترات باستخدام كرسي صغير وإدخال رأسه في تلك الفتحة التي عقدها بالأقمشة وابتسم ثم تنهد تنهيدة مريحة وكأنه يقول للعالم ها أنا سأنتصر عليك.. ثم ركل الكرسي بعيدًا

وها هو قد انتصر...

*****

خلال سنة...

باعت عزة الجريدة لأول مشترٍ عرض عليها مبلغ لا بأس به ولحزنها لم تطالب بشيء وما قاله المشتري وافقت عليه دون نقاش ودون علمها من هو!

وكان المشتري هو والد ضيّ حيث علمت برغبة والدة بدر ببيع الجريدة وقررت أن تشتريها هي تكريمًا لذكرى بدر وتكريمًا للمكان الذي رأته فيه أول مرة وقد تم الشراء بعد خروج ضيّ من السجن الذي دام عدة أسابيع نظرًا لتسترها على جريمة قتل أمجد لنوران، ولكن بسبب نفوذ والدها قد لجأ لأعظم المحاميين وأُخرجت بكفالة وبعدة ثغور في القانون.. وقد أسمت الجريدة "full moon " أي القمر المكتمل أو البدر..

أغلقت الشرطة القضية لاعتراف القاتل بدر بجريمته ولوجود الجثة بالفعل في الماء ولكن لم يستدل على جثة موج حسب كلامه، حيث ذهبت الشرطة لكل الغابات الصغيرة الموجودة بالمدينة ولكن لا وجود لها، فظنوا أنها كانت مجرد هلاوس من مريض نفسي كبدر قتل والده وألقاه في الماء وشنق نفسه وأزهق روحه ظنًا منه أنه سيذهب لحبيبته المتوفية.

تركت والدة بدر المدينة بعدما واجهت من الصدمات كمًا كافيًا لا تقدر على تحمله، فقد مثلت تلك المدينة اللعنة المُسلطة عليها حيث سلبت منها أعز ما كانت تملكه وهي زوجها وولدها فلم تجد مفرًا سوى الذهاب عن تلك المدينة وتركها بكل ما فيها من أذى روحي ونفسي ومحاولة التناسي وبدأ حياة جديدة أو حياة مزيفة تزيف فيها الحقيقة على نفسها وأن ما حدث لم يحدث وكأن كل ما واجهته لم يكن له وجودًا على الإطلاق حتى يتسنى لها العيش بإريحية قليلًا..

بعدما ظلت فريدة وهنا يبحثان كثيرًا عن جثة موج في كل مكان ولكن دون جدوى، قاما بتهدئة روحيهما ومحاولة التعايش مع الوضع وأنها توفت بالفعل وقد دفناها حتى تهدأ ثورة قلب والدتها وتسكت الدموع المتساقطة من أعين أختها، التي لم تكن تعرف أنها تحبها لتلك الدرجة وأن فقدانها أمر بشع بالنسبة لها، وكذكرى لها قاما بوضع صورة فوتوغرافية

ذات شارة سوداء أعلى يمين الإطار بجوار صورة والدها حتى يعتقدان أنهما لم يفارقهما وأنها في لب الأغوار بعيدًا قليلًا ولكن ستعود عاجلًا أم آجلًا.

وضعت لينا مولودها الأول فكانت أجمل فتاة من الممكن أن تراها العين تمزج بين ملامح لينا والدتها وبين الشعر الأحمر الشفقي الخاص بموج، وكأن والدتها مزيج من الصديقتين الوفيتين ولذلك فقد أسمتها بموج.. لتحظى بعذوبتها وتحسن نهايتها هي بنفسها.. أخذها شاكر وسافر بعيدًا ليحيا حياة جديدة خالصة من الكذب والزَيّف والشر ولكن رفضت جينيا السفر معهما وترك أعمالها وأموالها في المدينة لذلك أضطر شاكر أن يترك لها قسيمة طلاقها صباح يوم سفرهما، أظن أنه لم يكن مضطرًا بل سُعد بذلك وسعدت أيضًا لينا بذلك؛ فخسارة أحد والديها أحب إليها من خسارتهما هما الاثنين.. وأن تبحث عن نفسها وذاتها هو الأكثر سعادة لديها.

وهكذا حصل الجميع على جزاءه ونالوا ما كانوا يستحقونه مع بعض الصدمات التي أفاقتهم ليعرفوا ذاتهم، أن تعرف حقيقة ذاتك هي من ستجعلك تعرف حقيقة الغير وأن تعرف حقيقة الغير سيصبح أمامك ثلاث طرقٍ لتسلكهم :

أن تصبح موج فتكشف الحقيقة وتحظى بالجنون

أن تصبح بدر فتلعن الأرض وتتركها

أن تصبح مالك فتضحي بكل شيء بغيًا أن تظل بقرب من تحب حتى وإن كان من تحب غامض بالنسبة لكَ...

أنت وحدك من ستختار.

النهاية.

*****

أغلق الكتاب وخلع عنه نظارته المخصصة للقراءة وقال

- هل لأحدٍ سؤال!

تفضلوا بعرض تعليقاتكم

- أنا لي سؤال من فضلك

أجابه أحد الجالسين في حفل توقيع كتابه الصادر الذي حاز على العديد من الإعجاب وسجل مبيعات هائلة

- تفضل

- أين جثة موج؟

- عزيزي، الرواية ما أسمها؟

- زَيّف

- إذن، لن تظهر لكَ الحقيقة كاملة..

- حسنًا ،سأفهم أن هذه حبكة الكاتب ولكن لمَ أسميت بطلًا من أبطال روايتك باسمك سيد مالك!

- سؤال وجيه قد أعجبني والإجابة عليه تتمثل في أنني نرجسي الطبع وأحب اسمي لذلك فقد قررت أن أجعله يأخذ نصيبًا طيبًا من كتابي

قام آخرٌ برفع يديه اليمنى مشيرًا بأنه لديه سؤال يود الإجابة عليه

- من فضلك سيدي؟

- تفضل بالسؤال

- هل قصة زَيّف قصة حقيقية أم من داخل خيال الكاتب؟

- من داخل خيالي يا فتى، وهل هناك كتاب أساطير كهذا هذه الأيام!!

- لا يا سيدي، لا يوجد للأسف

قالها الصحفي مقهقهًا كثيرًا وكأن سؤاله كان سؤالًا ساذجًا لا يجدر أن يتفوه به

- عذرًا سيدي هل لي بسؤال أخير؟

- بالطبع

- ما مصير مالك إذًا!؟

- حاله كحال الكثيرين في العالم، قد اختفى ولا يعلم أحد عنه شيئًا ولا تشغل بالك به يا فتى فالعبرة من القصة قد وصلت إليكم وهو ألا تصدقوا كلام البشر فمنهم ستجد أمجد، ومنهم ستجد بدر، فكن أنت الكتاب وتحري في خبايا الأمور

فمن سراب الواقع ستنبثق الحقائق

بعد انتهاء الحفل أخذ السيد مالك سيارته وذهب بعيدًا عن المدينة، حتى وصل إلى جزيرة مهجورة بالقرب من البحر، يتوسطها منزل خشبي محكم الصنع رائع المنظر فترجل من سيارته ليدخل منزله.. حين دخل منزله نزع عنه معطفه فهما في منتصف الشتاء ثم علقه على حاملة المعاطف المجاورة لباب البيت وذهب إلى المطبخ الصادر منه موسيقى هادئة وبعض الترديدات خلفها ليجد أنثى فاتنة الجمال يغطي رأسها شعرٌ شفقيٌ مع بعض الخصلات الفضية اللامعة مرتدية فستانًا واسعًا مزهرًا ببعض زهور عباد الشمس الصفراء، ذي أكمام قصيرة لتظهر تلك اليدين التي تخلو من التجاعيد وتظهر مفاتنها لتخبره بصوت ناعم حنون

- هل نجحت الحفلة عزيزي؟

- بالطبع نجحت، فهو كتابتك

- هل من تساؤلات وُجهت إليكَ؟!

- بعض التساؤلات عنكِ، أما زلتِ على قيد الحياة أم لا!!

- أتمنى أن يتذكر الناس فقط موج التي في القصة وينسوا بأنها قد تكون حقيقية

- لا تقلقي، فقد مضى الكثير من الوقت على أحداث القصة ولابد أن الناس الأن مشغولون بالكثير من أمور حياتهم وقد

تبدلت الأوضاع عزيزتي فأصبح لكل بطل من أبطال حكايتك حياته الخاصة ونحن كنا نراعي ألا نذكر أسمائهم الحقيقية حتى لا يبحثون في الأمر ويجدونك

- أنت الصنارة التي انتشلتني من بركة كوارثي، لولاك لكنت ميتة حقًا الأن

- لولا أن جدتك ذكرت أمر الغابة لما كنت عرفت بأن الجريمة ستقام هناك، ولما كنت عرفت مكانك وأتيت وجدتك غارقة في دمائك وعالجتك في الإستاكوزة بنفسي

- كنت معالجًا وسيمًا عزيزي

- وما زلت

- أشكر القدر الذي جعلني معك، فلولا ذلك لما كنت سأكمل حياتي في الخفاء وكنت لأعود إلى زيفي المقزز الذي أتمنى أن أتناساه يومًا ما

- أنتِ ابنتي وزوجتي وحبيبتي وكاتبتي وساحرتي وكل شيء

- هل أخذهم الفضول لمعرفة نهاية الكتاب ؟

- أحمد الله أنهم اقتنعوا أن الكتاب لا وجود له، ولا وجود لتلك الأساطير في الأساس؛ وإلا كان الأمر سيثير الرأي العام والبلبلة في الصحف.

- لا عليك؛ فالأمر على ما يرام

اقتربت موجٌ منه، وأحاطت رقبته بيديها النّاعمتين، وجعلت قدميها تعلو قدمه مقتربةً منه أكثر حتى تلاصقت الأنفاس، وقالت بهدوء وابتسامة

- أصبحتُ زيفًا مثلهم لأجل أن أحظى بحبك

- أنتِ أكثر شيء حقيقي مُزيف.

بعدها ابتسمت وقالت:

- لن تذهب الحقائق سُدًّى، ولن ينقشع الظلم في الكون دون شجاعة وجرأة، ولن ينتهي الحب الصادق مهما كانت العقبات.

الحب هو الشيء الوحيد الحقيقي في حياتنا، ولكن حين نتقاسمه مع أنصاف أرواحنا.

ثمّ استدار وجهها لتلمع عينها مرة أخرى لشيء موجود في هدوء في مكعّب زجاجي، فتبتسم له، ويبتسم هو لها، فهي وريثته..

فهي وريثة المندل.

النهاية

تمت بحمد الله